

مجلة الكلمة الطبية

العدد الثامن

كلمة الكلمة

موسم الهجرة إلى الله

النفس الإنسانية لغة يترجمها إحساس ينهل من شغاف القلب نداء الضمير من خلال بعدين الأول يتجلى في إدراك الوصف الواقعي والثاني يتحقق عبر ترجمة الإحساس الباطني بمقاييس المعاني الكبيرة تلك التي تصبح فيما بعد سعيًا مستمرًا وعملاً عباديًا منقطع النظير وتكليفًا شرعيًا يحمل بين طياته شروط تلك الرسالة الربانية لينهل منها فيضاً مشرقاً ونوراً مضيئاً عندئذ تكتسب الحياة قيمة معنوية تحمل معها معاني العطاء الدائم، فالنفس التي تسعى إلى ربها.. هي النفس العاقلة في ترجمة رسالة السماء إلى الأرض وهذا ما أراده الله في فريضة من فرائضه الكبرى من أجل تفعيل هذه النفس لتصبح أكثر عطاءً وأكثر صلاحاً هنالك إذ يتساوى عباد الله حيث لا يفصلهم عن ربهم سوى ذلك الجسد الذي ارتدى إحرامه وسعى بقلب سليم. هنالك تتلاشى كل نوازع الإنسانية والملذات الدنيوية ويتحول حب الدنيا إلى لقاء الله سبحانه وتعالى لطلب المغفرة مبتدئاً بأهله حين يعرض عنهم جميعاً وكذلك عن أمواله وأولاده وفي الآخرة إذ لا شيء ينفع إلا من أتى الله بقلب سليم، وفي الحج تلين القلوب وتخشع النفوس وهي تلبي النداء (لبيك اللهم لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك). وتمر الساعات والأيام لتحمل من أمر القرآن ما تقوى على الاهتداء به للسير في طريق الكمال والورع هنالك حيث لا سعادة إلا لمن حقق تلك الغاية السامية.

والغاية الأساسية من أداء مناسك الحج هي تحقيق رضاء الله والتي لا تأتي إلا عبر رياضة روحية تضمنها هذه الفريضة المقدسة منها:

١- اللجوء القلبي إلى الله تعالى من خلال تلك الروح التي تسعى إلى أن تمنح نفسها لمرضاته تعالى عن طريق النية وإبداء العزيمة عن طريق القلب والحواس ذلك الذي يتأتى بواسطة الضمير الإنساني الذي عرف ربه فاتاه طائعاً.

٢- وهو إذ ينصرف عن كل شيء وكل لهو في هذه الدنيا الزائلة وينتقل بكيانه إلى بيت الله (وأن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) سورة الحج: ٢٧.

إن فالنية المشروطة بالاستطاعة عندما تمضي عن طريق الوسيلة الناقلة لهذه النفس وهذا الكيان تتحقق المرحلة الأولى من مراحل أداء هذه الفريضة.

أما المرحلة الثانية فهي سنن الحج المتعارف عليها وهي كثيرة:

وشروطها تحتاج إلى أداء دقيق كونها أحكام تكليفية منصوص عليها وثابتة لا مجال لتجاوزها وبها تكتمل هذه الفريضة السامية، وهي:

الإحرام، والطواف، وركعتا الطواف، والسعي، والتقصير. وتسمى بأعمال العمرة الخمسة وبعدها تأتي أعمال

الحج: وهي الإحرام، والوقوف بعرفة وبالمشعر الحرام، ثم الإفاضة ورمي جمرة العقبة ثم الذبح، والحلق، وطواف الزيارة التي يضاف إليها ركعتا الطواف، ثم السعي بين الصفا والمروة وطواف النساء، ويلحقها ركعتا الطواف ثم المبيت بمنى ورمي الجمرات.. هنالك إذ يحرم الحاج من الميقات ويطوف بالبيت سبعة أشواط ويصلي عند مقام إبراهيم كما ورد في الآية القرآنية: (وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ) عندما أسكن نبي الله إبراهيم (عليه السلام) زوجته هاجر وابنه إسماعيل هذا المكان المبارك حيث محل الدعاء ليُجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم كما ورد قوله: (ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ليقيموا الصلاة..) سورة إبراهيم: ٣٧.

وبهذا يكون الحج قد قدم عدة غايات نبيلة كما وضحتها سماحة المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي (دام ظله) في كتاب (عبادات الإسلام) بأن للحج:

- أ - غايات روحية وأخلاقية تنمو فيها روح الإنسان وتتطهر نفسه من الذنوب والآثام.
 - ب - غايات اجتماعية حيث يلتقي الناس وتتعارف الشعوب ويتوحد المسلمون.
 - ج - غايات اقتصادية حيث يتم التداول التجاري وتتوسع قاعدة العلاقات الاقتصادية.
 - د - غايات أخروية حيث يعرف الناس ربهم وهم يلبنون نداء الضمير الإنساني.
- وبهذا فإن النصوص القرآنية الواردة في هذا المقام تحمل معها دلالات واضحة حول أهمية هذه الفريضة المقدسة التي وضعها سبحانه وتعالى بعد تحقق مجموعة من المباني والقيم الإيمانية التي تقودنا إلى سبل النجاة والخير والسعي المبرور لما فيه مرضاة الله تعالى.

أسرة التحرير

تقويم الشهر

تقويم شهر ذي الحجة

اليوم	السنة (هـ)	المناسبة
١	٢ هـ	يوم عقد قران أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على الصديقة الزهراء (عليها السلام)
ويعد هذا اليوم مباركاً حيث تم فيه أقدم زواج على وجه الأرض، بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفاطمة بنت النبي الأكرم (صلوات الله عليهم أجمعين).		
١	٩ هـ	يوم نزول سورة براءة التي قرأها علي (عليه السلام) على المشركين في مكة
ويستحب في هذا اليوم الصيام والصلاة قبل الزوال ركعتين تقرأ فيهما بعد الحمد (التوحيد والقدر وآية الكرسي عشر مرات).		
٣	١٠ هـ	وصول النبي (صلى الله عليه وآله) إلى مكة لحجة الوداع
تعتبر حجة الوداع أحد التواريخ المهمة في حياة المسلمين حيث كانت فيها عملية تنصيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لخلافة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله).		
٧	١١ هـ	وفاة الإمام الباقر (عليه السلام)
وهو سادس أئمة المسلمين وكانت وفاته في هذا اليوم، وكان له دور هام في نشر علوم أهل البيت (عليه السلام) حيث كانت له مدرسة كبيرة حتى سمي بباقر العلم كما لقبه جده رسول الله (صلى الله عليه وآله).		
(راجع ملف المناسبات).		
٨	٦٠ هـ	خروج الإمام الحسين (عليه السلام) من مكة إلى العراق
ويصادف أول يوم خرج فيه الإمام الحسين (عليه السلام) إلى المدينة المنورة ومن ثم إلى كربلاء حيث نزل بها في الثاني من محرم الحرام ٦١ هـ وبهذا تكون مدة سفره المقدس حوالي ثلاث وعشرون يوماً.		
٨	٦٠ هـ	مسلم بن عقيل في الكوفة داعياً للإمام الحسين (عليه السلام)
وفي هذا اليوم بدأ مسلم بن عقيل بن أبي طالب دعوته بأخذ البيعة من أهل الكوفة واليهود والرسائل من وجهائها.		
٩	-----	غلق الأبواب
وفي هذا اليوم جاء الأمر إلى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأن يغلقوا أبواب بيوتهم التي كانت مفتحة إلى المسجد إلا باب أمير المؤمنين (عليه السلام).		
٩	-----	يوم عرفة
ويستحب في هذا اليوم الغسل، والصوم، وزيارة الإمام الحسين (عليه السلام).		
١٠	-----	عيد الأضحى المبارك
ويستحب فيه: - الغسل وهو سنة مؤكدة وقد أوجبه البعض.		

- أداء صلاة العيد.

- قراءة دعاء الندبة.

١٣ ----- وقوع معجزة شق القمر في مكة

تذكر التواريخ أن حدوث معجزة شق القمر تمت على يد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) في مساء هذه الليلة.

١٤ ٣١٧ هـ انتهاك حرمة مكة المكرمة

في مثل هذا اليوم انتهك القرامطة حرمة مكة المكرمة ونهبوا الحجر الأسود لمدة عشرين سنة.

١٥ (٢١٢-٢٥٤) هـ ولادة الإمام علي الهادي (عليه السلام)

وهو الإمام العاشر من أئمة المسلمين، ويصادف في مثل هذا اليوم ولادته الشريفة، وقد عاصر سبعا من خلفاء بني العباس، وقد سعى المتوكل لإيذاء الإمام (عليه السلام). وقد استشهد الإمام مسموماً بأمر من المعتز الخليفة العباسي، دفن في سامراء وقبره جوار قبر ابنه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

١٨ ١٠ هـ عيد الغدير الأغر

وهو اليوم الذي نزلت فيه الآية (يا أيها الرسول بلغ..) على الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو عائد من حجة الوداع في منطقة غدير خم حيث أعلن الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن علياً (عليه السلام) هو الولي من بعده وقال (صلى الله عليه وآله): (من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله). ويستحب في هذا اليوم عدة أعمال.

١٨ ٦٧٢ هـ وفاة الطبرسي

وفي هذا اليوم توفي محمد بن محمد بن الحسن الطوسي، أصله من (جهرود) في مدينة قم ويقال أنه عند اقتراب وفاته سأله أن يحملوا جنازته إلى النجف فقال: أخجل من الإمام موسى بن جعفر أن أوصي مثل هذه الوصية.

١٨ ٩٤٠ هـ وفاة المحقق الكركي

وفي مثل توفي الشيخ الأجل العالم الكبير علي بن عبد المعالي الكركي المعروف بالمحقق الثاني، وهو صاحب (جامع المقاصد) و(نفحات اللاهوت) وشأنه أكبر مما يذكر.

٢٢ - ٢٣ ٦٠ هـ

شهادة صاحب أمير المؤمنين (عليه السلام) الشهيد ميثم التمار في الكوفة
يعتبر أحد الصحابة المقربين من أمير المؤمنين (عليه السلام) آزره في كل الظروف فكانت هدية المارقين صلبه على الأعواد، فمضى شهيداً في سبيل الحق.

٢٤ ١٠ هـ يوم المباهلة

وهو اليوم الذي باهل فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) نصارى نجران وقد اكتسى بعباءة وأدخل معه علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليه السلام) وقال: (اللهم إنه قد كان لكل نبي من الأنبياء أهل بيت أخص الخلق إليه وهؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، فهبط جبرئيل بآية التطهير في شأنهم ثم خرج النبي (صلى الله عليه وآله) للمباهلة فلما بصر بهم النصارى لم يجروا على المباهلة فطلبوا المصالحة وقبلوا

الجزية.

وهو اليوم الذي تصدق فيه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فيه بخاتمه على الفقير وهو راجع، فنزلت فيه الآية (إنما وليكم الله ورسوله).

٢٥ ٣٥ هـ يوم البيعة لأمر المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة

نزل الآيات الثماني عشرة في فضل أهل البيت (عليهم السلام).

نزلت في مثل هذا اليوم الآيات الثماني عشرة من سورة الدهر في فضل أهل البيت (عليهم السلام) (إن الأبرار يشربون - إلى قوله تعالى - إن سعيكم كان مشكوراً)

٢٨ ٦٣ هـ واقعة الحرة

وفي هذا اليوم حدثت واقعة الحرة، ومختصر هذه الواقعة أن أهل المدينة اطلعوا على جرائم يزيد فأخرجوا عامله من المدينة ومعه جمع من الأمويين، وخلعوا بيعة يزيد وبايعوا عبد الله بن حنظلة عقيل الملائكة، ولما سمع يزيد بذلك أرسل مسلم بن عقبة إلى أهل المدينة وقتل جمعاً كبيراً منهم، ففر الكثير منهم والتجأوا إلى روضة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتبع جيش الشام أهل المدينة المنهزمين، ودخلوا بخيولهم روضة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسفكوا الدماء حتى قبر النبي (صلى الله عليه وآله).

مفاهيم إسلامية

الصبر

حيدر الجراح

يعدّ الصبر في القمة من الأخلاق الكريمة التي حثّ القرآن عليها، كما حثت عليه الأديان السماوية السابقة. والصبر.. خلق من أخلاق الله، إذ روي أنه سبحانه وتعالى أوحى إلى نبيه داود (عليه السلام): يا داود تخلق بأخلاقى وإن من أخلاقى أنا الصبور (١).

والصبر، كنز من كنوز الجنة، وهو أنشودة النفس الكريمة أمام عواصف الحياة.. والأمة التي تعودّ نفسها الصبر على مكائد الدهر وصدّماته هي الأمة المنتصرة الحائزة على سبق الفوز. والأمة التي تنهار أعصابها، وتضعف قوة الصبر عندها هذه الأمة لا تقوى على مقارعة الخطوب ونواب الزمان.

في معنى الصبر..
الصبر لغة: حبس النفس عن الجزع..
والصبر: تجرّع الغصص وانتظار الفرص..
والصبر: الدواء المرّ..
وهو ملكة في النفس يتيسّر معها احتمال ما يشقّ احتماله، والرضى بما يكره في سبيل الحق.. وهو خلق يتوقف عليه كمال كل إنسان..

والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه..
قال الله تعالى: (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) (٢).
والصبر يكون في البأساء، أي المصيبة.. ويكون في الضراء، أي الفقر.. ويكون حين البأس، أي الحرب..
والصبر اعتدال في السلوك بلا عجلة لسبب الخبال والزيغ، ولا تلوّك يوجب الانحطاط والتأخر.. (٣).

أقسام الصبر..

يمكن تقسيم الصبر إلى قسمين: مادي ومعنوي، أو جسدي ونفسي.
فالجسدي: يكون في تحمّل المشاق بالبدن والثبات عليها، كالصبر على العبادات وعلى الأعمال الشاقة، أو

١ - كلمة الله، السيد حسن الشيرازي، ص ٢٢٥.

٢ - سورة البقرة: ١٧٧.

٣ - الفضيلة الإسلامية، السيد الشيرازي، ص ٤٤٣.

على الضرب الشديد، والمرض العظيم، والجراحات الهائلة.. فيكون الصبر محموداً إذا وافق الشرع..
والنفسى: وهو صبر النفس عن مشتبهات الطبع ومقتضيات الهوى، ويعبر عنه بالمحمود التام..
فإن كان صبراً على شهوة البطن سمي (عفة)، وإن كان احتمال مكروه اختلف اسمه عند الناس باختلاف المكروه الذي عليه الصبر.. فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم الصبر، وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع، وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت، وضرب الخدود وشق الجيوب وغيرها، وإن كان في احتمال الغنى سمي (ضبط النفس) وتضاده حالة (البطر)، وإن كان في حرب ومقاتلة سمي (شجاعة) ويضاده (الجبن)، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي (حلماً) ويضاده (التذمر)، وإن كان في نائبة من نوائب الدهر سمي (سعة الصدر) ويضاده (الضجر والتبرم وضيق الصدر)، وإن كان في إخفاء كلام سمي (كتمان السر) وسمي صاحبه (كتوماً) وإن كان عن فضول العيش سمي (زهداً) ويضاده (الحرص)، وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي (قناعة) ويضاده (الشهه) (٤).

من هنا نرى أن أكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر.. وروي عن النبي (صلى الله عليه وآله) عندما سئل عن الإيمان قال: هو الصبر...

أنواع الصبر

- ١ - الصبر على الطاعة: وهو صبر على النعمة التي أنعم الله بها على الإنسان بأن يصبر على الشكر لصاحب النعمة وهو الله جلا وعلا، فيسير في طريق الاستقامة ولا ينحرف بسبب وجود النعمة وكثرتها فيبذر ماله مثلاً أو تفسد أخلاقه..
- فيصبر على الطاعة كما يصبر على أن لا يعصي خالفه، ويستمر في العبادة والصلاة لوقتها وصوم شهر رمضان وغير ذلك.
- عن الإمام علي (عليه السلام): الصبر صبران: صبر على ما تكره وصبر عما تحب (٥).
- وعنه (عليه السلام): إنا وجدنا الصبر على طاعة الله أيسر من الصبر على عذابه (٦).
- ٢ - الصبر على عدم معصية الله: فمثلاً يصبر بأن لا يغتاب ولا يكذب ولا يتكبر ولا يرتكب المحرمات..
- وعن الإمام الكاظم (عليه السلام): اصبر على طاعة الله واصبر عن معاصي الله فإنما الدنيا ساعة (٧).
- ٣ - الصبر على البلاء والمصائب والمشاكل: كل إنسان في هذه الدنيا معرض للبلاء والمصائب التي تقع عليه ويعاني منها، فإن أراد الراحة في الدنيا والثواب في الآخرة فعليه أن يصبر ويسلم أمره إلى الله ويتوكل عليه ويرضى بقضاء الله وقدره ويحاول أن يعالج ما وقع فيه من بلاء ومصيبة ومشاكل بتعقل وهدوء..
- عن الإمام الصادق (عليه السلام): من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد..

٤ - مفردات ألفاظ القرآن، الأصبهاني، مادة صبر.

٥ - غرر الحكم، ح ١٩١٤.

٦ - الإرشاد، الديلمي، ص ١٧٣، ب ٣٨.

٧ - البحار، ج ٧٨، ص ٣١١.

(٨).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار (٩).
وهذه الأمور بالإضافة إلى ما لها من الثواب توجب خير الدنيا والسعادة فيها، فالصبر عند الغيظ والمصيبة يوجب مهابة الإنسان في النفوس، والدم في سبيل الله يوجب التقدم، والشوكة وقطرة الدمع توجب قوة الاتصال بالله مما هو رأس كل فضيلة، فإن قوة الإيمان تمنع صاحبها من الدنايا، وهكذا الخطوة إلى الصلاة، اتصال بالله وهيبة عند الناس... (١٠)

مراتب الصبر

قال بعض العارفين: أهل الصبر على ثلاث مقامات:
الأول: ترك الشكوى، وهذه درجة التائبين.
الثاني: الرضا بالمقدّر، وهذه درجة الزاهدين.
الثالث: المحبة لما يصنع به مولاه، وهذه درجة الصديقين.
وهذه المراتب مختصة بالصبر على المكروه..
وعندما تقمع الشهوات، ويتيسر الصبر، وصار ملكة راسخة أورث مقام الرضا.. وإذا بقي مقام الرضا أوصله إلى مقام المحبة.. وكل قسم أعلى من القسم الذي قبله.. فمقام المحبة أرفع من مقام الرضا، ومقام الرضا أعلى من مقام الصبر.. ولذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أعبد الله على الرضا، فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره..

أقسام الصبر

الصبر باعتبار الأحكام ينقسم إلى أقسام:
الأول: واجب، وهو الصبر عن الأعمال المحرمة وعلى إقامة الواجب..
الثاني: مستحب، وهو الصبر على بعض المكاره، وأداء المندوبات.
الثالث: محرم، وهو الصبر على الأذى التي يحرم تحملها.
الرابع: مكروه، وهو الصبر على ما يناله من جهة مكروهة في الشرع..

٨ - الكافي، ج ٢، ص ٧٥، ح ١٧.

٩ - الكافي، ج ٢، ص ٧٣، ح ٧.

١٠ - الفضيلة الإسلامية. السيد الشيرازي / ص ٤٤٦.

الصبر على العافية..

والعافية تكون في الصحة الجسمية، واتساع الأسباب الدنيوية، وكثرة النسل، وعلو المقام، والمال الكثير.. والصبر عليها، أن لا تشغلنا عن ذكر الله وشكره..

وقد جاء في الآية الكريمة: (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) (١١). ومعناه أن لا يركن الإنسان إلى الدنيا، ولا ينهمك في التمتع ولا يتفاخر به على إخوانه المؤمنين، ويراعي حق الله في ماله بالإتفاق، ووضعه في محله عند أهله.

والسر في كون الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء، لأن الصبر على ترك متاع الدنيا غير مجبور عليه، بل هو صاحب الحق والقدرة على التمتع به..

قال البعض: (البلاء يصبر عليه المؤمن، والعوافي لا يصبر عليها إلا الصديق)..

وقال بعض العارفين: (الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء).

وهذه المراتب لا تقوى عند الإنسان إلا بتقوية باعث الدين وتضعيف باعث الهوى..

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): إن صبرت جرت عليك المقادير وأنت مأجور، وإن جزعت جرت عليك المقادير وأنت مأزور (١٢).

من نتائج الصبر..

١ - إن كل واحد منا بحاجة إلى الصبر لكي يستطيع أن يعيش في هذه الدنيا القصيرة المليئة بالمشاكل والمصائب..

فالصبر يؤدي إلى الراحة في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة، ويدل صبر الإنسان في مثل هذه المواقف على شجاعته في مواجهة البلاء..

عن الإمام علي (عليه السلام): الصبر شجاعة.. (١٣).

٢ - ما بعد الصبر إلا الفرج، فرضى الإنسان بقضاء الله وقدره وصبره على البلاء يؤدي ذلك به إلى الفرج..

عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً..

٣ - صبر الإنسان في طاعة الله وعدم معصيته، والاستمرار في شكر النعمة التي أنعم بها عليه، يؤدي ذلك إلى زيادة النعمة الإلهية له..

والصبر بالإضافة إلى ما ورد فيه من الفضل في الآيات والأحاديث، فضيلة إنسانية تأتي بنتائج مذهلة في الإتيان وصحة العمل وإصلاح الفاسد، ولذا يلزم على الإنسان أن يواظب على هذه الفضيلة، ويقوي ملكتها في

١١ - سورة المنافقون، ٩.

١٢ - جامع الأخبار، ص ١١٦.

١٣ - نهج البلاغة، ص ١٠٨٩، ح ٣.

نفسه.. (١٤).

الخلاصة..

من أجل مقاومة الجزع، والتذمر، والقنوط واليأس التي لا يرضى بها الإسلام أن يكون لها مكان في نفس المسلم، والتي تؤدي إلى نتائج قبيحة، من أجل ذلك دعا الإسلام إلى الصبر وحث عليه ومدحه كثيراً، وعدّه أساساً لأكثر الفضائل، وعمدة ملكات الخير في الإنسان، وأثنى على الصابرين أعظم الثناء، ودعا المؤمن إلى الاعتدال في التصرفات وإلى الصبر في حالتي النفع والضرر، وبين أنه عند تناهي الضيق يكون الفرج.. والصبر من خواص الإنسان انفرد به عن غيره من المخلوقات لأن الله سبحانه وتعالى، خلق للحيوانات شهوة بدون عقول تكبح جماحها، وخلق للملائكة عقولاً بدون شهوات تصرفهم عن طاعة الله عز وجل.. وخلق الإنسان وجمع له بين العقل والشهوة، فمن تحكم عقله في شهوته وكبح جماح نفسه فهو ملك يمشي على الأرض، ومن تغلبت شهوته على عقله فانقاد إلى نفسه وهواه، صار كالأنعام بل أضل سبيلاً.. وإذا أحصينا فضائل النفس الإنسانية برز لنا في طليعتها الصبر والمصابرة، والثبات والمثابرة. إذ أن هذه الفضائل هي التي تصنع الرجال وتنهض بالأمم، وتصل بها إلى أبعد الغايات من العلم والعمل، وترقى بها إلى الذروة في الزراعة والصناعة والتجارة، وسائر شؤون العمران.. وإذا نظرنا إلى ما ينعم به البشر من النعم المادية والروحية ظهر لنا أنه ثمرة الصبر والكفاح ونتيجة الدأب والمثابرة..

ولأهمية الصبر فقد ورد ذكره في القرآن الكريم في نيف وسبعين موضعاً منه.. والصبر أنواع: صبر الإنسان على أداء الطاعات وفعل الواجبات، وصبر الإنسان عما يحب من شهوات الدنيا وملذاتها المحرمة، وصبر الإنسان على ما يكره من مصائب الحياة وكوارثها والرضا بقضاء الله تعالى وقدره عن اقتناع.. وصبر الإنسان في مواطن الحق، والثبات في وجه خصومه حتى ينتصر، والجهد من أجل استقرار المبادئ الكريمة، والعقائد الصحيحة، واحتمال الصعاب من أجل مطاردة الرذائل ومحاربة البدع والمنكرات حتى تختفي وتزول (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف واثمة عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) (١٥).

إن الإنسان يخلق وتخلق معه متاعبه من مصائب وآلام وفقر، وفقد حبيب إلى خيبة أمل وخسران، كل هذه الأمور ونحوها تحتاج إلى الصبر للتغلب عليها، وبالتالي للوصول إلى النجاح والسعادة المرجوة.. وأخيراً.. إن المؤمن المستقيم على إيمانه مهما قست عليه الظروف، ومهما اصطدم بشيء من ملومات الحياة لن يكون عضواً أشل، أو شخصية باهتة، لأنه يعلم ويؤمن بأن مع العسر يسراً، ومع المرض شفاء، ومع الضيق سعة، ومع الشدة فرجاً، والأمور كلها بيد الله سبحانه يدبرها ويصرفها بمشيئته...

١٤ - الفضيلة الإسلامية، السيد الشيرازي، ص ٤٤٣.

١٥ - سورة لقمان: ١٧.

شاعر وقصيدة

المتنبى

نزار مصطفى

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي. وقيل هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار. حكاه ابن خلكان وابن حجر في الميزان. والكندي نسبة إلى محلة بالكوفة تسمى كندة، نسب إليها لأنه ولد بها سنة ٣٠٣ هـ، وليس هو من كندة القبيلة العربية المعروفة، بل هو جعفي نسبة إلى القبيلة العربية التي تنسب إلى جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج. كان أبوه سقاءً في الكوفة، وكان يلقب بالسقاء. وكانت أمه امرأة من همدان القبيلة العربية المشهورة بتشييعها ونصرتها لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام). وكانت من النساء الصالحات. نشأ أبو الطيب في الكوفة وترعرع فيها، وكان يكثر من مجالسة وملازمة مكاتب الوراقين. فيقرأ ما يقع تحت يده من كتبهم ويحفظه، لما وهب من قوة الذاكرة وشدة الرغبة في الأدب. ذكر بعضهم أنه رأى معه كتاباً من كتب الأصمعي نحو ثلاثين ورقة، فأطال النظر فيه، فقلت له: إن كنت تريد حفظه فسيكون بعد شهر. قال: فإن كنت حفظته في هذه المدة؟ قلت: فهو لك. فأخذت الدفتر من يده فسرده لي، ثم أخذه مني فجعله في كفه. ولما رأى أبوه استعداداته الطيبة لقبول العلم، حمله إلى بلاد الشام بادية وحاضرة، فجالس الكثيرين من علمائها في الأدب واللغة، كالزجاج، وابن السراج، والأخفش، وابن دريد، وأبي علي الفارسي، وغيرهم. قال الثعالبي في التيمية: هو وإن كان كوفي المولد فهو شامي المنشأ وبها تخرج، ومنها خرج نادرة الفلك وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر. ثم هو شاعر سيف الدولة المنسوب إليه المشهور به، حتى سار ذكره سير الشمس والقمر، وسافر كلامه في البدو والحضر. وقال ابن خلكان: وكان من المكثرين في نقل اللغة، والمطلعين على غريبها وحواشيها، ولا يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل أن أبا علي الفارسي (النحوي المشهور) صاحب الإيضاح والتكملة قال له يوماً: كم لنا من الجموع على وزن (فعلَى) يعني بكسر الفاء وسكون العين. فقال: حجلي وظري. قال الشيخ أبو علي: فطالعت كتب اللغة ثلاث ليالٍ على أن أجد لهذين ثالثاً فلم أجده. وحسبك من يقول أبو علي في حقه هذه المقالة، وحجلي جمع حجل وهو الطائر الذي يسمى القبيج، والظري جمع ظربان على مثال قطران وهي دابة تنتنة الرائحة.

عاد من الشام إلى الكوفة، وتحقيقاً لطموحه الكبير، وعلو همته، شاء أن يحقق شيئاً من الملك والسيادة في ذلك العصر، فدعا إلى بيعته قوماً من شبان الكوفة، خلبهم بكبر نفسه، وفصاحة لسانه، في بادية السماوة وهي أرض قريبة من الكوفة مما يلي الشام، فقبض عليه الوالي لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيد، واعتقله زمناً ثم استتابه وأطلق سراحه.

تشيعه

قيل الكثير حول عقيدة المتنبّي، فقد قيل أنه ادّعى النبوة، وقيل أنه قد أُلحد، وقيل أنه كان باطنياً قرمطياً. ووضعت لنبوته حكايات غريبة، حتى قيل أنه ادعى أن قرآناً أنزل إليه، وأنه كان يزعم أن الأرض تطوى له، ويخدع بذلك الأعراب لأنه كان قوياً على السير عارفاً بالبوادي. وقيل أنه سمّي بالمتنبّي لشعر قاله، ففي اليتيمة حكى أبو الفتح عثمان بن جني قال: سمعت أبا الطيب يقول: إنما لقبت بالمتنبّي لقولي:

أنا ترب الندى ورب القوافي	وسمام العدى وغيظ الحسود
أنا في أمة تداركها الله	له غريب كصالح في ثمود
ما مقامي بأرض نحلة إلا	كمقام المسيح بين اليهود

وقال ابن خلكان: إنما قيل له المتنبّي، لأنه ادّعى النبوة في بادية السماوية وتبعه خلق كثير من بين كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيد فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه. وقيل غير ذلك وهذا أصح.

أما الثعالبي فلم يحقق دعواه النبوة، بل اقتصر على نسبتها إلى الحكاية كما تقدم في اليتيمة. والذي يقوي قول الثعالبي: أن أبا الطيب نفسه كان ينكر هذا اللقب ويقول: إن الناس سمّوني بذلك. والذي ينتبع شعر المتنبّي ويدقق فيه لا يجد أية إشارة في شعره تدلّ على ادعائه النبوة التي ألصقت به، وربما ألصقت به تهمة النبوة من قبل أعدائه وحساده الكثيرون.

وقد رجّح الكثير من المحققين والأعلام تشييع أبو الطيب المتنبّي، وأثبت ولاءه لأمير المؤمنين (عليه السلام) كالسيد العلامة محسن الأمين، والقاضي نور الله التستري في كتابه مجالس المؤمنين، ونقل أبو الفتح الكراجكي في (كنز الفوائد): أن المتنبّي قد عوتب على تركه مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال:

وتركت مدحي للوصي تعمداً	إذ كان نوراً مستطياً شاملاً
وإذا استطل الشيء قام بنفسه	وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

وقوله في القصيدة التي يمدح بها أبا القاسم طاهر بن حسين بن طاهر العلوي:

فتى علمته نفسه وجدوده	قراع العوالي وابتذال الرغائب
كذا الفاطميون الندى في أكفهم	أعز انمحاء من خطوط الرواجب
أناس إذا لاقوا عدى فكأنما	سلاح الذي لاقوا غبار السلاهب
نصرت علياً بابنة ببواتر	من الفعل لا قل لها في المضارب
إذا علوي لم يكن مثل طاهر	فما هو إلا حجة للنواصب

هو ابن رسول الله وابن وصيه وشبههما شبعت بعد التحارب

وأورد علي بن عيسى الأربلي أبياتاً من شعر المتنبي لا توجد في ديوانه:

رضيت بأن ألقى القيامة قانصاً دماء نفوس حاربك جسومها

أبا حسن إن كان حبك مدخلي جحيماً فإن الفوز عندي جحيماً

وكيف يخاف النار من بات مؤمناً بأنك مولاه وأنت قسيمها

قال صاحب كتاب (نسمة السحر فيمن تشيع وشعر): أخبرني القاضي العلامة أبو محمد أحمد بن نصار بن محمد بن عبد الحق عن والدي (رحمه الله) أن أبا الطيب كان يتحقق بولاء أمير المؤمنين (عليه السلام) تحققاً شديداً وأن له فيه عدة قصائد سماها العلويات وإنما حذفت من أكثر نسخ ديوانه لشدة التعصبات في المذهب. كما لا يخفى أن المتنبي كوفي، والكوفة هي مركز التشيع في العالم الإسلامي، وولد في محلة كندة التي تدين بالتشيع، ووالده من قبيلتين معروفتين بنصرتهم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب في كل مواقعه. فالمتنبي شيعي النشأة، شيعي المعتقد، على الرغم مما قيل فيه.

شاعريته

قيل عن أبي الطيب المتنبي أنه مالى الدنيا وشاغل الناس، وكان شعره يسير بين الناس كمسير الشمس والقمر، ويسافر كلامه في البدو والحضر، كما قال ذلك الثعالبي. كان شاعراً فذاً، عبقرياً في كل فن من فنون الشعر، حيث كان الكلام طوع لسانه ينظم منه شعراً كما يشاء ومتى شاء، فيأتي ببديع الألفاظ وგრانب الأنماط، لا يسبقه سابق ولا يلحقه لاحق. كما قال هو:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغني مغرداً

ومن قصيدة له يصف بها معركة الحدث الحمراء، يمدح فيها سيف الدولة الحمداني ويذكر إيقاعه بالدمستق عليها وكشفه وقتله خلقاً كثيراً من جيشه. وهي من القصائد الخالدات التي أجاد فيها المتنبي بوصف الوقائع الحربية يقول فيها:

هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أي الساقيين الغمام

سقتها الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم

بناها فأعلى والقنا يقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

أتوا بجياد مالهـن قوائم أتوك يجرون الحديد كأنما

خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمام

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثرعك باسم

ضمنت جناحيهم على القلب ضمة تموت الخوافي تحتها والقوائم

بضرب أتى الهامات والنصر غائب وصار إلى اللبات والنصر قادم

حقرت الردينيات حتى طرحتها وحتى كأن السيف للرمح شاتم
ومن طلب الفتح الجليل فإنــــما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

اعتنى العلماء بديوانه فشرحوه، وقيل لم يسمع بديوان شعر في الجاهلية ولا في الإسلام شرح مثل هذه الشروح الكثيرة سوى ديوان المتنبي.

حيث ذكر صاحب الصبح المنبي شروح ديوانه التي وقف عليها وما ألف من الكتب فيما يتعلق بشعره فكانت نحو اثنين وأربعين كتاباً منها: شرح ابن جني قال وهو أول من شرحه، وشرح أبي العلاء المعري المسمى (معجز أحمد)، وشرح أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، والموضح لأبي زكريا التبريزي، وشرح عبد الرحمن بن محمد الأنباري صاحب (نزهة الألباء في طبقات الأدباء)، وشرح أبي منصور محمد بن عبد الجبار السمعاني جد صاحب (الأنساب)، وغيرهم.

اتَّهم المتنبي بالسرقات الأدبية من الشعراء الذين سبقوه من قبل أدباء عصره ومن بعدهم، وجرت بينه وبين بعضهم مناظرات كالحاتمي وأبي فراس الحمداني. ننقل بعض ما جاء في مناظراته مع الحاتمي.

قال له المتنبي: أما يكفيك في هذه عن إساءتي في تلك.

فقال الحاتمي: ما أعرف لك إحساناً فيما ذكرت وإنما أنت سارق متَّبِع وآخذ مقصّر، أما قولك:

كان الهام في الهيجا عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد

فمأخوذ من قول منصور النميري:

وكان موقفه بجمجمة الفتى خدر المنية أو نعاس الهاجع

وأما قولك:

في فيلق من حديد لو رميت به خدر المنية أو نعاس الهاجع

فنقلته نقلاً لم تحسن فيه من قول الناجم:

ولي في حامد أمد بعيد ومدح قد مدحت به طريف

مديح لو مدحت به الليالي لما دارت علي لها صروف

والناجم أخذه من قول أرسطو في آخر مقالته: قد تكلمت بكلام لو مدحت به الدهر لما دارت علي صروفه.

كما وهجاه آخرون لتكسبه من الشعر واتصاله بالملوك والأمراء ومدحه إياهم. وعاب عليه آخرون بعض ما جاء في أشعاره، لكن يبقى المتنبي وحيد عصره في الشعر.

مقتله

قتل المتنبي يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة ٣٥٤ هجرية، قتل عند قرية تقرب من دير العاقول قرب مدينة النعمانية في العراق وقتل معه ابنه (محسّد) وغلّامه (مفلح) ودفن هناك.

ركن الأسرة

الأسرة ودورها في تربية الطفل

عبد الله علي

المشاكل النفسية للطفولة

تكثر مشاكل الطفل في المجتمعات الغربية وبالذات النفسية نتيجة تفكك الأسرة وانحلال القيم في معظم العوائل ومشكلة الطفل أنه لا يستطيع أن يعبر عن مكونات نفسه وأحياناً تكون هذه هي مشكلة الكبار، فالطفل لا يستطيع أن يقول أنه مكتئب ... أنا حزين أو أنا أريد التخلص من حياتي. كما أن الطفل لا يستطيع أن يوضح أو أن يفصح عن مشاعر القلق ولا يستطيع أن يصف ألمه النفسي. ولهذا فمعاناته النفسية تأخذ أشكالاً أخرى في التعبير، فقد يضطرب نومه أو طعامه وقد يصاب بالتبول أو التبرز اللاإرادي أو قد يتلعثم في الكلام أو تنتابه حركات لا إرادية في جسمه لا يستطيع أن يتحكم فيها. وقد يضطرب سلوك الطفل اضطراباً خطيراً فيكذب أو يسرق أو يهرب من المدرسة أو يهرب من البيت ويصبح عدوانياً.

هذه الأعراض التي ذكرناها قد تظهر على الطفل وتعني إن الطفل غير سعيد. إنه بانس وإنه يحتاج إلى مساعدة متخصصة. وفحص الطفل نفسياً أمر صعب ولهذا فقط نكتفي بملاحظته وبالحديث معه بشكل عام بسؤال والديه وأخوته ومدرسيه وهذا بداية العلاج ولكن كل ذلك لا يغني عن دور الأسرة وبالذات الأم والأب اللذان على العموم يكونا غائبين عن المنزل معظم الوقت، ويكاد يكون دورهم معدوماً في التربية نتيجة إلقاء ولدهم في إحدى المدارس الداخلية التي من الممكن أن تزيد حالة الولد النفسية اضطراباً. في حين أنه يفترض أن يتوجه الوالدان فوراً في مثل هذه الحالة إلى الطبيب النفسي فوراً إذا كان الطفل يتدهور أو حالته النفسية تزداد سوءاً فإن التأجيل في مثل هذه الحالة يؤدي إلى تدهور حالة الطفل وحرمانه من الفرص الطبيعية لكي يهتم بدراسته ويسعد بطفولته.

المرض النفسي وأثره على نمو الطفل

المعاناة النفسية لدى الطفل تعوقه عن النمو الطبيعي والتفاعل الطبيعي وأول مأساة يواجهها الأبوان مع هذا الطفل هي أنه يحس بالوحدة الشديدة، فبقية الأطفال هجروه وانطلقوا لألعابهم وأفراحهم فهو يشعر بأنه طفل منبوذ وتكون الطامة الكبرى وأصل كل معاناة إنسانية حين يهمله والداه أو يقسوان عليه بسبب إهماله أو بسبب الأعراض التي أصابته وكثيراً ما يكون هذا في مجتمعات الغرب، ونظراً لاتصراف الأب والأم في عملهم نهاراً وفي لهوهم في أماكن اللهو ليلاً يظل الطفل مدة طويلة يعاني نفسياً حتى يتأصل عنده المرض النفسي وتسيء حالته حتى تصبح أعراضه واضحة لا يمكن السكوت عنها يكون بعدها من الصعوبة على الوالدين تحمله وكذلك

من الصعوبة علاجه، وعلى المجتمع من الصعوبة استيعابه.

دور الأب والأم الملتزمين

كثيراً ما يعود الأب في المجتمعات الغربية وهو مخموراً في آخر الليل ويزعج أفراد الأسرة النائمين وكثير ما يفقد الطفل احترامه لأبيه وهو يكتشف أن أباه رجل غير شريف. وكذلك الحال حينما تكون الأم هي المسيطرة وتلغي شخصية الأب في المنزل أو بالعكس؛ وهناك الأب الذي يحو تماماً شخصية الأم ويلغي دورها وأهميتها أو أن يكون هناك صراع بين الاثنين فيقع الطفل في مفترق صعب ويحتر بل يعجز عن الاختيار وهذا يعرضه لأصعب الأمراض العقلية.

كما أن الطلاق يؤثر تأثيراً كبيراً في مستقبل الأولاد، وإن لم يؤثر في صحتهم الجسمية، وإن كان هناك فرق كبير بين أن يقع الطلاق في حال صغر الطفل، وفي حال كبر الطفل: فإن حال الصغر أقل تأثيراً في نفس الطفل وعقله، كما أن هناك فرقاً كبيراً أيضاً بين أن يتشتت أمر العائلة بالطلاق، بحيث يكون الطفل بعد الطلاق عند أحد أبويه، أو عند غيرهما، حيث يؤثر ذلك في الطفل تأثيراً كبيراً، وبين أن يكون البيت واسعاً يسع الأجداد والأعمام والأخوال، بحيث لا ينهدم عش الطفل بالطلاق، وإنما يؤثر الطلاق في حياة الزوجين بأن يفترقا في الغرفة فقط مثلاً، فإن مثل هذا الطلاق أقل تأثيراً في حياة الطفل من القسم الأول.

وكثير ما يكون إهمال الطفل وتركه عند الخادمة أو المربية في الأسرة الموسرة عند الطبقات الثرية وانشغال الأم الزائد باهتماماتها والتي عادة ما تكون خارج البيت. وكذلك من الأمور التي من شأنها أن تزيد العقد النفسية لدى الطفل هو إدمان الوالدين أو أحدهما للمخدرات أو انغماس أحد الوالدين في ملذاته دون أن يراعي كرامة وسمعة أسرته وهذا حال الأسرة في المجتمعات الغربية.

الأسرة والمسؤولية الشرعية

أما الأسرة في التشريع الإسلامي فإنها تحتل موقع الخلية الاجتماعية الأولى التي تمثل المحصن الإنساني المتميز بالعنصر، العاطفي الحميم الذي يشد الإنسان إلى زوجه وإلى ولده وإلى أبيه وأمه وأخوته ليكون ذلك وسيلة من وسائل بناء الشخصية الإنسانية، على أساس متحرك من الحنان الروحي الذي يغذي الإنسان، فيملأ عقله وقلبه بالأمن والطمأنينة من خلال هذا النوع من التداخل، الذي يجعل الروح منفتحة بحيث يتحسس الجو العاطفي الذي يغمره ويحيط به ليعيش كل المفردات النفسية والروحية والفكرية بطريقة لا تثقل ذاته ولا تسيء إلى طفولته لأنها تجعله يتنفس ذلك بكل عفوية.

في ضوء ذلك تنطلق المسؤولية الإسلامية في رعاية الأسرة على أساس من التخطيط الفكري والنفسي الذي يحقق لأفرادها الانفتاح على المفاهيم الإسلامية فكراً وعاطفة ومنهجاً للحياة بحيث يبدأ الإنسان حركته من القاعدة الإسلامية التي يركز عليها البناء العقلي والعاطفي والحركي ليكون الإنسان المسلم الذي يواجه منذ طفولته الواقع المضاد بقوة وثبات فلا يكون ريشة في مهب الريح أو خشبة في مجرى التيار؛ لأن ذلك هو الذي يدفع بالجيل الإسلامي إلى الساحة العامة التي تختلف فيها العقائد والخطوط والاتجاهات ليتخذ موقعه فيها على

أساس التوازن الذي يحميه من كل الاهتزازات العنيفة في أجواء التحديات.
إن القضية التي تفرض نفسها على واقع المسؤولية في الأسرة هي قضية تنشئة الفرد في داخلها ليكون إنساناً في عبوديته وإخلاصه وارتباطه بالله من خلال الخط العقيدي والعلمي اللاشعوري الذي يعيش فيه الإنسان معنى الحب لله والخوف منه.

من عوامل الانحراف السلوكي لدى الطفل

إن المشاكل السلوكية لدى الأطفال ترجع في الأصل إلى عوامل تأخذ مسارها في فترة ما قبل الولادة، بل غالباً قبل الحلم ذاته فيعود تاريخها إلى طفولة الأهل أنفسهم ونوعية شخصياتهم ولأسلوب الحياة العائلية الذي نشأوا عليه ثم إلى ذلك القدر من الحب والحنان الذي نموا في ظلله. ذلك إن الطفل الذي ينشأ منذ ولادته محروماً من العطف والمحبة يصبح حين يكبر عاجزاً عن أخذ أو إعطاء أدنى شعور وجداني رفيع. ومن هنا فإن الطفل الذي يعاني الحرمان والإهمال من والديه يكون سبب ذلك غالباً هو معاناة أحد الوالدين من طفولة تعيسة مترعة بالحرمان. وإذا كان الأهل قد لاقوا صنوف العقاب والضرب في مراحل طفولتهم فقد مارسوا الأسلوب نفسه مع أطفالهم.

وجدير بالذكر، أن الأهل يتأثرون تأثراً بالغاً بالوضع الاجتماعي الذي نشأوا في كنفه وبشخصيات وانطباعات ذويهم أيضاً. كما يعتبر مقدار ما يتلقاه الأهل من مشاعر الحب والإحساس بالأمان في مراحل طفولتهم المبكرة من أهم العوامل المؤثرة بعد ذلك في تنشئة أطفالهم.

ومن العوامل السلوكية المؤثرة أيضاً في فترة ما قبل الحمل هو استقرار الأبوين العملي والوظيفي. ومن المعروف أن التوتر النفسي لدى الأم الذي كثيراً ما تصاب به الأم في تلك المجتمعات قد يؤدي إلى تفاعلات غير مرغوب فيها في طريقة تعامل الطفل مع مجتمعه وعناصر بيته وقد يؤدي إلى اضطرابات في سلوكه.

والطفل الذي لم يتوجه إليه توجهاً كافياً من ناحية الأبوين، يكون في مستقبل عمره سيئ العمل، ويفرط في الخشونة مع أولاده ومع غيرهم، كأنه يريد بذلك ملأ فراغه النفسي، حيث يحس بعدم الأمن وبالخطر المطارد له، بينما إذا توجه الأبوان إليه برعاية زائدة عن الحد، يصبح الولد مهزوز الشخصية، ومتزلزل الإرادة ولا يتمكن من الاستقامة في مستقبل أمره، وغالباً ما يكون مثل هذا الشخص عاطلاً، ولا يتمكن من التقدم، أما الأبوان المعتدلان في التربية بلا مسامحة، ولا إفراط، بدون عصبية وليونة، فهما يهيئان المناخ الملائم لنمو الطفل نمواً صحيحاً خالياً عن التعقيد والانفلات.

بل الأطباء يقررون أن كلاً من التشديد والتساهل في أمور الطفل الجسدية يسبب له أمراضاً مستقبلية، فتجنبيه الحر والبرد، وحفظه عن المأكّل المتعارفة إلى المأكّل اللذيذة، يسبب له أمراضاً، كما أن عكسه - بعدم الاعتناء بأكله ولباسه ونظافته ونومه ووقايته عن الحر والبرد المتناهيين - يسبب له نوعاً آخر من الأمراض.
وقد ورد في الحديث: (خير الأمور أوسطها) نهج البلاغة، صالح، ص ٢٩٤، وفي الآية الكريمة: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) سورة البقرة آية ١٤٣.

وقد قرر علماء الأخلاق لزوم التوسط، وإلا كان سوءاً. مثلاً: الإفراط والتفريط في الكرم والشجاعة، بخل وإسراف، وجبن وتهور وهكذا.

في رأي كثير من أخصائيي تربية الطفل أن لفظ طفل غير منتظم هو لفظ خاطئ فالطفل يتفاعل مع الأحداث بالطريقة التي اعتادها من قبل أهله وأورثوها له ومن هنا كان الاعتراض على عيادات ترشيد سلوك الأطفال، لأن الذين يحتاجون للترشيد والعلاج بالفعل هم الأهل أنفسهم وليس أطفالهم. ومن المؤكد أن الطفل يتأثر تأثراً بالغاً بسلوك أهله وانطباعاتهم وأساليب تكيفهم مع أحداث الحياة من حولهم بل أن سعادتهم أو شقاءهم وتطاحناتهم المنزلية تنعكس بصورة مباشرة على نفسية وسلوك الطفل وتلازمه مدى الحياة.

يرجع العلماء أن السلوكيات التي تتحدد صورتها بدءاً من العام الثاني نتيجة التصورات التي تطرأ في شخصية الطفل إنما تتكون خلال العام الأول في أثناء التطور العقلي للطفل وتفاعله مع الأشخاص المحيطين به بالإضافة إلى أن كثير من تصرفات الأهل في إطار تربية أطفالهم تعتبر من العوامل المهمة التي تحدد مظاهر السلوكيات. وليس عسيراً أن نلاحظ أن الرضيع الذي لم يتجاوز يومه الأول لا يكف عن الصراخ لا لإطعمه أو لتغيير أريته ولكن لمجرد حمله واحتضانه ومن ذلك اليوم فصاعداً يزداد إلحاح الطفل في طلب الحب والأمان وبدءاً من الأسبوع الثالث أو الرابع تبدو للجميع بوضوح مظاهر الابتهاج على الطفل حينما يحادثه أحد أو يحمله أو يداعبه فتهدأ حركة أنفاسه ويفتح فمه ويغلقه ويميل برأسه للأمام والخلف ويتأمل وجه أمه بامعان، وبعد ذلك بأسبوعين أو ثلاثة يبدأ في التعبير عن فرحه بالابتسام والمناغاة وتزداد حاجة الطفل إلى أن يُحمل ويُحتضن ومع الوقت يأبى أن يغيب عن ناظره وجه أمه ولا يمكن أن يعوضه عن أمه أو أبيه أي مدرسة داخلية ومهما كان مستواها في الرقي..

إن الكآبة التي يصاب بها الطفل في المجتمعات الغربية والتي غالباً ما تؤدي إلى أمراض نفسية بعضها يقوده إلى الانتحار هو غياب أمه عن المنزل ولفترات طويلة لا يمكن له أن يتحملها ويستوعبها كطفل. وهذا من الممكن أن يقوده لأي سلوك لا يمكن التنبؤ بأضراره وممكن أن يقوده إلى محاولة الانتحار، دونما يعرف لماذا وما هو فاعل، وهذه الحالة التي يصل إليها الطفل في المجتمعات الغربية ما هي إلا نتيجة لغياب الأم والأب وانشغالهم في أمور تعتبر ثانوية ومهما تكن أهميتها، فإنها لا تعادل ضياع الطفل وتدمير شخصيته، وبالتالي صعوبة معالجة الحالة حيث ينشأ الطفل غير سوي من الناحية النفسية وغير قادر على الاندماج في المجتمع مما يحمله على الانزواء والعزلة.

وقد أعطى الإسلام معالجات واقعية للتربية، تحدثت عنها مئات الأحاديث الواردة عن النبي (صلى الله عليه وآله) وعن أهل بيته الأطهار (عليهم السلام) بحيث تشكل برنامجاً متكاملماً لهذا الحقل الهام في حياة الإنسان على هذه البسيطة.

ركن الأسرة

الطفولة وتكوين السلوك السوي

د. أسعد شريف الإمارة

لا يخفى أن هنالك سداً كبيراً وحاجزاً مهماً في سبيل معرفة منشأ العيوب السلوكية للأطفال من قبل الوالدين ويستفاد من هذا العرض لتجنب خطر الانهيار الصحي والنفسي والآثار التربوية الأخرى والذي قد يعرض بالنهاية حياة الطفل إلى أخطار الموت أو يستتبعه مشاكل نفسية معقدة ومتعددة ربما تؤدي إلى انهيارات خطيرة سواء على مستوى الفرد أو العائلة أو المجتمع.

الحالة الصحية والتركيب السلوكي

لعله من المعروف لدى العاملين في مجال علم النفس المرضي والصحة النفسية، وعلم نفس الطفولة، أن وجود طفل يعاني من أزمات صحية ونفسية، يعني بلا شك وجود خلل في الأسرة (الأم والأب) أو من يتولى تربيته. ونعني بكلمة (صحية) هي الصحة الجسدية وتشمل: العوق بسبب عدم العناية في مراحل النمو الأولى، أو تعرض الأم لأزمات مع الزوج أو مع أسرته انعكست على الطفل مباشرة (كحالات الفزع والصراخ المصحوب بأصوات مرتفعة الذي يسبب حالات صمم أو تلثم لدى الطفل... الخ).

أما الصحة النفسية فنعني بها أنماط السلوك غير المرغوبة اجتماعياً، كالسلوك العدواني، التعصب والتطرف، الأنانية، الفوضوية، الكذب، النصب والاحتتيال. فعندما نبحث في أسباب أية مشكلة يتعرض لها طفل ما، فإننا ننظر إلى الخلفية المرجعية التي نشأ فيها، وظروف التربية التي صاحبت مراحل النمو الأولى من الولادة مروراً بفترة الرضاعة وأنواعها، وأنواع الفطام التي تعرض لها، ومدة الرضاعة (طولها أو قصرها زمنياً) وما صاحبها من انفعالات عصبية مرت بها الأم، وحالات التهديد النفسي الذي تعرضت له حتى بلوغ الطفل السن التي تسمح له الدخول إلى المدرسة، وكيف عاش بعدها مراحل الاختلاط، هل عاش مخاوفها مع الأطفال ومنهم، أو في عزلة عن أخوته أو أقرانه في مرحلة يتطلب مواجهة عالم المجتمع الأوسع بأساليب المواجهة للتعرف على الأقران في المجتمع، بعد أن غادر محيط الأسرة الضيق ومحيط الحي الذي سكنته أسرته وما شابه.

إن الطفولة الأولى الممتدة من بداية الميلاد حتى الدخول إلى المدرسة في سن السادسة أو ما بعدها بأشهر، تعد المحك الذي نقيس على ضوئه بعد ذلك المراحل اللاحقة، ومدى حالة السواء (الصحة) أو حالة المرض لدى أي كائن بشري (ذكر أو أنثى).

الأساس السيكولوجي للبناء الاجتماعي

لقد اهتم الإسلام في تعاليمه القيمة بجميع الجوانب العقلانية والعاطفية للبشر فدعا الناس من جهة إلى التعقل والتفكير وحثهم على العلم والمنطق.

لذا فإن الأساس السيكولوجي والاجتماعي للبناء يعتمد على القيم التي يعلمها الأبوان لهذا الطفل منذ الولادة، وإكسابه عادات تشكل سلوكه وتكوينه الخلقي، ولا سيما أننا مسلمون تحكمنا الضوابط القيمية المبنية على المنهج الإسلامي والشريعة، وما سنه الرسول العظيم محمد (صلى الله عليه وآله) وآل بيته الأكرمين.

فالطفل في الإسلام يولد على الفطرة، وهي الإسلام، لقوله تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها) سورة الروم، آية ٣٠، وفي ذلك يقول الإمام السيد الشيرازي (دام ظله): إن الإنسان يخلق وله فطرة خاصة (١٦).

أما في المجتمعات التي تعتقد بالديانة النصرانية (المسيحية) أو اليهودية، فإن الأبوين يهودان الطفل أو ينصرانه، وهي الأفكار الشائعة لدى ثقافة ومعتقدات الديانة النصرانية وخاصة فكرة التعميد.

إن التنشئة الأولى للطفل في الأسرة المسلمة لا تعتمد حصراً بالتربية الجسمية (الجسدية) وتقوية قدرات الطفل العضلية ومنحه القوة في البقاء حياً فحسب، بل بعد أن تتم تلك التربية تبدأ أو تلازمها معاً التربية الروحية (التربية الإيمانية)، وعادة تكون من سن الثالثة تقريباً، وذلك بتلقين الطفل المبادئ الأولى للعقيدة الإسلامية.

الشخصية والتربية

تعد التربية إحدى أسس بناء الشخصية الإنسانية فهي من أولى اللبنات المكوّنة للشخصية، ففي خلال مرحلة الطفولة المبكرة يتكون الإطار العالم للشخصية، ويكون لهذا أكبر الأثر في تشكيل شخصية الطفل في المراحل اللاحقة (١٧).

لقد كانت الدراسات التربوية تقتصر في موضوعاتها على الإنسان فقط، حيث سعت إلى تشكيله على نمط يحقق الخير لذاته ولمجتمعه ولل فرد منذ طفولته الغضة، فالأبوان لهما الدور الأكبر في تنشئة وليدهما على القيم والاتجاهات والتصورات وأنماط السلوك.

إن فإن عملية التربية تعد قضية اجتماعية خطيرة كونها تعني تطبيع أفراد المجتمع على مستوى معين من الخلق والسلوك تبعاً للظروف الخاصة بكل مجتمع (١٨).

كما ورد في قوله الله سبحانه وتعالى: (الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك) سورة

١٦ - الاجتماع ج ٢، الإمام الشيرازي (دام ظله)، دار العلوم، بيروت، لبنان ١٩٩٤، ص ٤٨، ص ٥٧.

١٧ - سيكولوجية النمو، عبد الرحمن العيسوي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان (ب.ت)، ص ٢٩.

١٨ - تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد محمد الزعبلوي، مكتبة التوبة، الرياض،

السعودية، ١٩٩٤، ص ٩.

الانفطار: ٧ و ٨، فمسألة نشوء العادات لدى الأفراد تمثل امتداداً طبيعياً للمراحل العمرية الأولى والتأثيرات المنعكسة من قبل المحيط الاجتماعي خاصة الوالدين، فتعلم سلوك الطاعة أو العصيان، أو الأثانية وحب الذات مقابل حب الآخرين والتعاون وسلوك المساعدة، هي سلوكيات يتدخل الآباء في تكوينها وتعميقها لدى الأطفال وتدعيمها... ويميل الطفل ميلاً خاصاً نحو التقليد والمحاكاة، فيقلد الكبار من المحيطين به، ولاسيما من يعجب بشخصيتهم، لذلك يجب أن يتوفر للطفل القدوة الحسنة والنموذج الذي يستطيع أن يتوحد به (بتمكّن شخصيته) وهو بهذا السلوك ينقل العادات والقيم بدون جهد وتعب، فقد تقمصها ومن الممكن أن يستفيد من تقمصها.

المراحل العمرية الأولى في تكوين العادات والقيم لدى الطفل

ربما يتساءل بعض الناس، كيف تتكون العادات والسلوكيات المقبولة أو غير المقبولة، الناضجة أو غير الناضجة، وهل للأبوين دور في تكوينها، أم أنها خلقت مصادفة دون تدخل من الآخرين أو توجيههما. إن معظم السلوكيات التي يمارسها الكائن البشري هي عادات مكتسبة، تعلمها الإنسان عبر دورة الحياة ومراحل نموه، فالإنسان يتعلم الطاعة، ويتعلم عكسها التمرد، يتعلم الإذعان وعكسه الرفض، يتعلم الصدق ويتعلم الكذب، يتعلم الأمانة ويتعلم السرقة، فهي سلوكيات اجتماعية مكتسبة، مرغوب فيها أو غير مرغوب فيها، مقبولة أو غير مقبولة، ويظل الحكم والمعيّار في ذلك للمجتمع، لذا يرى الإمام الشيرازي (دام ظله) أن العائلة يجب أن يكون محيطها بحيث يمكن تربية الأولاد تربية صحيحة، ويخرج فيه الأولاد: سالمين من حيث الجسم، ومن حيث العقل، ومن حيث العاطفة.

فالأطفال ينفذون ما يطلب منهم خصوصاً في السنوات الأولى والثانية من عمرهم، وخاصة في المراحل الأولى من حياة الطفل ودلائلها تكون في الانتباه والاستجابة للأوامر والنواهي البسيطة الصادرة من الأم مثل (تعال إلى هنا) أو (لا تفعل ذلك) ومع ذلك فإن كثيراً من الوالدين يشكون من كيفية تعليم أطفالهم على الطاعة، وكثير من الأطفال لا يطيعون والديهم فيما يقولونه، ومع أن هناك اختلافات بين الأطفال لتقبل الأوامر وتنفيذها، وتدلنا الدراسات على وجود ثلاثة أنواع من الحالات السلوكية:

١ - النوع الذي يؤجل ما يطلب منه، ويرفض كل ما يطلب منه ولكن بهدوء وبرود.

٢ - النوع الذي يرفض بشدة وصرامة.

٣ - النوع الذي يفعل عكس ما يطلب منه تماماً (١٩).

من الميول الفطرية للإنسان والتي تظهر في فترة الطفولة الحاجة إلى العطف والحنان وإن الاستجابة لهذا الميل الطبيعي وإشباع هذه الحاجة يجب أن يكون جزءاً من المنهاج السلوكي للتربية خصوصاً وإن أساس التكوين السلوكي لدى الأطفال عموماً يرجع إلى عوامل ذاتية داخلية وعوامل بيئية خارجية (مكتسبة). قد يتغلب أحد العاملين على الآخر في طبع السلوك وإعطائه الأولوية، فيتشكل السلوك العام. وعادة تكون البيئة ذات تأثير فعال على الكثير من عاداتنا المكتسبة. فالطفل يكتسب الكثير من العادات والقيم من خلال الأسرة وفقاً لطبيعة

١٩ - سيكولوجية الطفولة والمراهقة، شيفر وملمان، ترجمة سعيد حسني العزة، مكتبة دار الثقافة للنشر،

عمان، الأردن، ١٩٩٩، ص ٤٥.

ونوع الأساليب التربوية المتبعة.

فالأسرة التي يغلب عليها العامل الديني تنمي لدى أبنائها القيم الدينية والتربية الإسلامية، على عكس الأسرة التي لا تجد مبرراً في التشديد على اكتساب أطفالها القيم الدينية، وإنما تعتبرها خبرة عامة مكتسبة يمر بها الطفل عشوائياً، وربما لا تجد إثابة أو دعماً معنوياً من الأبوين، على الرغم من أن التربية الإسلامية تؤدي وظيفة محدّدة في حياة الفرد والجماعة. فهي توفر للطفل صورة السلوك والتفكير والمشاعر التي ينبغي أن يكون عليها أو على الأقل الالتزام بها لما تشيعه من ثقافة متخصصة تظهر نتائجها لاحقاً وبشكل سوي مميز.

ويرى بعض علماء النفس أن الأسباب الرئيسية في عدم تبلور سلوكيات اجتماعية واضحة لدى بعض الأفراد في مراحل الطفولة، وظهورها في مرحلة الرشد ناتجة عن الأسباب التالية:

١. التساهل الشديد أو عدم الجدية في معاملة الأطفال، وخاصة الأهل الذين يحجمون عن استعمال كلمة (لا) لطفلهم.

٢. النظام الصارم بإفراط مثل انتقاد الوالدين للطفل بشدة وبشكل مبالغ فيه، أو أن يبقى الأهل يشكون من أطفالهم باستمرار.

٣. عدم دقة الأهل فيما هو صحيح أو غير صحيح.

٤. انشغال الأهل عن الأطفال سواء بأعمالهم التي يزاولونها أو انشغالهم بمشاكلهم الشخصية أو انفصال الأهل عن بعضهم أو المشاكل الزوجية.

٥. الرغبة بعدم الطاعة نتيجة حالات الكسل والتعب والمرض والجوع والغضب.

ومن السلوكيات المتوقعة ظهورها عند عدم قدرة الأهل في توجيه الأطفال وإرشادهم التربوي والنفسي الصحيح في مراحل النمو الأولى هي:

- الفوضوية وعدم التنظيم (الاهتمام).

- الأثانية وحب الذاب.

- الاعتمادية.

- الغضب الحاد وفقدان الأعصاب.

- السرقة.

- الكذب.

- الغش.

- الشتائم والكلمات البذيئة.

الفوضوية وعدم التنظيم والترتيب

إن الطفل عندما يلعب، يعمل بدلاً من أن يتكلم، وجدير بالذكر أن العمل أشد قوة من التفكير أو الكلام (٢٠). وعليه فإن البدايات الأولى لممارسة الطفل السلوك الذاتي هو اللعب دون تدخل الأبوين أو توجيههم له

٢٠ - التحليل النفسي للأطفال. ميلاتي كلاين، ترجمة عبد الغني الديري. دار الفكر، لبنان، ص ٢٦.

وبالتالي فهو حر طليق بما يعمل، وما يشكل في أدوات اللعب، وهي حالة إسقاط لمشاعر داخلية على هذه الأدوات البسيطة التشكيل، فعالم الطفل الداخلي مليء بالشحنات غير المنصرفة أو المتحولة إلى سلوك ولا يمكن أن تبقى دفينه، فالطفل في السنوات الأولى وخاصة السنة الثانية بحاجة ماسة لأن ينطق بعبارات أو كلمات أو مفردات وإن كانت غير واضحة، فهي محاولة للاندماج مع المجتمع الصغير (الأسرة) والتآلف معه باكتساب بعض العادات من خلال المشاهدة العيانية والملاحظة.

فالتعلم من البيئة المحيطة يحمل معه الكثير من العادات التي يتعلمها الطفل آلياً. وربما لم تكن بعض العادات سائدة في محيط الأسرة، ولكن نحى بنفسه نحوها وابتكرها وأخرجها كسلوك ومضى يحوله إلى واقع. كما تظهر مع حالات التششت وعدم تنظيم الأشياء أو ترتيبها، أو ضعف أو قلة الاهتمام بالملابس أو الأشياء أو عادات الأكل... الخ.

إن الأطفال يختلفون عن الكبار (مراهقين أو راشدين) بمقاييس الترتيب أو تنظيم الأشياء، أو نوع الملابس أو نظافتها أو تنسيق ارتدائها أو عادات الطعام، أو مواعيد الطعام.

فالطفل عادة يكون مشوشاً، شراً في الإلحاح على طلب حاجته ولا يقبل تأجيلها إلى حين، كما هو حال مريض العقل، فهو يسلك سلوك الطفل بالحاح والمطالبة بتنفيذ رغباته غير المنطقية. فلا يوجد لدى الطفل تأجيل لحاجته، فحالة التبرّز، يجب أن تنفذ فوراً، وحالة الجوع لا يمكن أن تؤجل، وحالة الضيق التي تنتابه من الأماكن الضيقة، أو عند وجود الغرباء، يجب أن تنفذ تبعاً لرغبته كونها حاجات فطرية لا يحدها المنطق والالتزام الاجتماعي، فهي لا تخضع لسلطان المجتمع. وكثيراً ما يتعرض الأبناء لإحراجات لا مبرر لها، يسببها الطفل الصغير.. وهي وإن كانت تخضع لأوامرهم ونواهيهم، إلا أن الطفل بالحاح عليها تنفذ، وهي بذلك تسحب أولى الأوامر نحو الفوضوية، وإلغائها تماماً، كاستجابة لرغبة الطفل... فكثيراً ما كان يتوقع الآباء النجاح الكبير في تربيته الموجهة لطفلهم، ولكنه غالباً ما يخيب أملهم وتفشل توقعاتهم.

إن بعض الأطفال عادة ما يكونوا غير مرتبين ومهملين خاصة بالنسبة لملابسهم وألعابهم وكتبهم ودفاترهم ومظهرهم الخارجي، وكذلك تبدو عليهم عادات القذارة واضحة عندما لا يقوم الطفل بغسل وجهه، ويتمتع بقذارته، عندها تصبح المشكلة مشكلة حقيقية، صراع يحدث بين الآباء والأبناء (٢١)، وتظهر المشكلة بصورة جلية وواضحة تماماً في المراحل اللاحقة وخاصة المراهقة. ويقتنع المراهق تماماً بأن حياته فوضوية، ويطلب من والديه أن يتركوه وشأنه.

إن هذه الظاهرة التي بدت واضحة تماماً في مرحلة المراهقة لها الأساس القوي في مراحل الطفولة الأولى... فعادات التقيد بأداب الطعام والأكل، هي البدايات التي تكون هذا النمط لاحقاً، وعادات ترتيب الأشياء وتنظيمها لدى الطفل، تمتد لتكون سلوكاً قوياً لا يستطيع الفكك منه، وبالتالي يتكون تنظيم المواعيد والأشياء، والحاجات الخاصة، وغرفة النوم، والكتب المدرسية والدفاتر الخاصة به، حتى يصبح الشخص المرتب المنظم في علاقاته الاجتماعية أو دفاثره المدرسية، علامة مميزة وبارزة لدى زملائه، ولو عدنا إلى الأسباب التي

٢١ - سيكولوجية الطفولة والمراهقة، شيفر وملمان، ترجمة سعيد حسني العزة، مكتبة دار الثقافة للنشر، عمان، الأردن، ١٩٩٩، ص ٤٥.

ساعدت على تكوين هذا السلوك السلبي المشتت في بداياته لوجدنا ما يلي:

١ - تعبير عن الرفض في تحمل المسؤولية:

كل طفل لديه رغبة في الاستقلال، وعندما تزيد الأوامر عليه بالتقيد والالتزام، فإنه يعبر عنها بالنقيض، فالإلحاح على الطفل بالنظافة وإجباره على تعلم أساليبها كقيمة لا مفر منها، فإنه يتجه إلى نقيضها... ويرى الإمام الشيرازي (دام ظله) أن الأبوين المعتدلين في التربية بلا مسامحة، ولا إفراط، بدون عصبية وليونة، منهما يهينان المناخ الملائم لنمو الطفل نمواً صحيحاً خالصاً من التعقيد والانفلات. (٢٢) كذا كلما ألح الآباء على النظافة أو الترتيب، كلما زاد الأطفال توجهاً نحو الفوضى وعندها يكون الآباء متشددين في بعض نواحي حياة الطفل، فإن الطفل سيبحث عن وسيلة أخرى ليعبر بها عن نفسه وفرديته (٢٣).

٢ - ضعف التدريب على مهارات التعلم

البعض من الأطفال لم يجد من يعلمه آداب الحياة العامة، وآداب الأكل، وآداب الحديث (كيف ينصت ليستمع، كيف يتحدث دون أن يقاطع الأكبر منه سناً عندما يتحدث، كيف يعلق على حديث الآخر دون المساس بشخصيته أو محاولة جرحه، وهكذا من أساليب الحياة الاجتماعية المختلفة)، هذه المهارات لم يجدها في أسرته أو يتعلمها بالملاحظة أو تقليد النموذج الذي يقتدي به، كذلك المهارات الأخرى الضرورية، مثل كيف يختار ملابسه، كيف يلبسها، كيف يكون أنيقاً ومنظماً، كيف يتعلم ترتيب حاجاته الخاصة في غرفته أو مع أخوته في نفس الغرفة، فهو ينمو مضطرباً، غير منظم، فضلاً عن نقص الدافع الداخلي الذي يحفزه أو يشجعه على تعلم مهارات التنظيم والترتيب، فينشأ كسولاً غير حريص، فاقداً البيئة الخارجية المهنية لتعلم السلوك مع عدم وجود الدافع الداخلي أيضاً، فتكون النتيجة إعاقة في تنظيم حياته وأشياءه، فحالة الفوضى تتمثل في ضعف القدرة على إيجاد حاجاته بسهولة أو ترتيب أشياءه في أماكنها المخصصة (الخزانة أو الدولاب أو الجرار)، أو إضاعة بعض الأزرار من ملابسه، وعدم القدرة على المحافظة على الملابس نظيفة لفترات طويلة...

وتنعكس حالة الفوضى المادية للأشياء والممتلكات إلى الجوانب الذهنية والعقلية وتنظيم الأفكار، أو بروز صعوبات في التذكر ومتابعة النتائج، رغم أن مسحات الذكاء والتفوق بادية أو واضحة عليه، لكن ضاعت بسبب الفوضى وعدم التنظيم.

ويقترح المختصون بعض طرق الوقاية وعلى سبيل المثال منها:

١ - التدريب المستمر المبكر: فمن الضروري تشجيع الأطفال في سن السنوات الستة الأولى، أي ما قبل الدخول إلى المدرسة على قوانين النظافة (خاصة في سن السنتين فصاعداً)، حيث يستطيع أن يشارك الطفل في جميع ألعابه في مكان مخصص له (صندوق مثلاً)، كذلك في سن الثالثة تشجيعه على عادات أخرى، مثل عدم السماح له في البقاء لمدة أيام في غرفة تملؤها الحاجات والأشياء بشكل أكوام غير منظمة، مما تعيق سيره في الغرفة. فالإلحاح عليه لتنظيم أشياءه ووضعها في أماكن مخصصة لها، هي البداية للتدريب على التنظيم.

٢٢ - الاجتماع ج ٢، الإمام الشيرازي (دام ظله)، دار العلوم، بيروت، لبنان ١٩٩٤، ص ٤٨، ص ٥٧.

٢٣ - سيكولوجية الطفولة والمراهقة، شيفر وملمان، ترجمة سعيد حسني العزة، مكتبة دار الثقافة للنشر، عمان، الأردن، ١٩٩٩، ص ٤٥.

٢ - تعليم الطفل كيفية النظافة الذاتية: فالطفل يكتسب عادات يومية بملاحظة والديه مثل غسل اليدين والوجه صباح كل يوم، فهي ستكون إحدى العادات المتعلمة التي لا يستطيع تركها، وعادت النظافة لدى المجتمعات الإسلامية ذات قيم شائعة يؤكد عليها الإسلام. فقول الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله): (النظافة من الإيمان) يعد سنة يجب إتباعها لدى كافة المسلمين.

٣ - الاختلاط مع الآخرين والاهتمام بهم: يولد الإنسان كحالة غير مكتملة (٢٤) ويأتي دور الأب والأم لكي يعلمانه كيفية التطبيع الاجتماعي والتكيف مع الآخرين، والتفاعل معهم، فالطفل يعطى اهتماماً من قبل أبويه، وهو بنفس الوقت يعكس هذا الاهتمام بالتبادل مع الآخرين، فيجب أن يتعلم الطفل الاهتمام وبطريقة ودية ولطيفة وهادئة، قائمة على أساس الاحترام، وأن يتعلم الطلب من الآخرين كأن يقول: من فضلك؟ وليس على شكل أوامر توجه نحو الآخرين. فعبارات الغضب وإعطاء الأوامر لا تنفع في تعليم الطفل، النظافة أو الترتيب. كون الطفل مرآة يعكس بسلوكه الذي تعلمه من أسرته كل تصرفاته وأفعاله مع الآخرين، ومع أقرانه، فهو يختزن كل ما تعلمه من عائلته، ليظهره عفواً وبشكل واضح. فما تعلمه من مسائل الاهتمام بالأشياء والحاجات، والأشخاص وتقدير الكبار، إنما يعني نجاح تكوينه الشخصي، وقدرته على التواصل مع الآخرين دون مشاكل أو أزمات مستقبلية.

وهكذا تظهر مسؤولية الآباء والأمهات الواعين فكما هم يسعون لمراقبة غذاء الطفل المادي من يوم ولادته ويغذونه بتوازن صحيح يخضع لمواعيد مضبوطة وطبقاً للطرق العلمية الناجحة يترتب عليهم الاهتمام بأطفالهم بين الحين والآخر من خلال متابعتهم السلوكية باعتبار أن الأسس والركائز الخلقية للطفل تصب في الأشهر المبكرة من عمره وبعد مضي سنة واحدة حسب كيفية تربية الأطفال (٢٥).

٢٤ - المرأة وتكامل صورة الجسد، ينفين زيور، مجلة أدب ونقد، العدد ١٥٠، فبراير، ١٩٩٨.

٢٥ - تقي فلسفي. الطفل بين الوراثة والتربية. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان. ط الأولى، ١٩٦٨. تعريب وتعليق فاضل الحسيني الميلاني. ج ٢، ص ٢٧٧.

ركن الأسرة

تربية الفتاة ضرورة من ضرورات المجتمع

عبد السلام الرفاعي

حينما بعث الرسول (صلى الله عليه وآله) في ذلك المجتمع المتخلف والفساد بفساد الجاهلية، المتأخر عن ركب الإنسانية والحضارة، المنهار من كل جوانبه ونواحيه، عزم (صلى الله عليه وآله) على إصلاح ذلك المجتمع عن طريق إصلاح الأفراد، لأن الإصلاح ينتشر كما ينتشر الفساد، والهداية تروّج كما يروج الضلال. ومن جملة تلك الطرق والوسائل والخطط التي اتخذها وانتخبها الرسول (صلى الله عليه وآله) هي القضاء على العقد النفسية التي تكونت في تلك النفوس على التربية الجاهلية السيئة.

وحيث أن سن الطفولة هي مبدأ حياة الإنسان، تنمو بنموه، لهذا قرر الرسول (صلى الله عليه وآله) الأصول التربوية بشأن الأطفال، وألقى المسؤولية على عاتق الآباء. فمتى ما قام الأبوان بواجبهما تجاه أبنائهم؛ برعايتهم ومصاحبتهم وتوفير الأجواء المنزلية المستقرة لهم، فإن أطفالهم سيكونون نتاجاً لهذه الأجواء لهذه الأجواء المتزنة والاستقرار العائلي، أما إذا انشغل الآباء عن أبنائهم ولم يهتموا بهم فسوف تكون النتائج سلبية وتنعكس على مستقبل الأطفال (٢٦).

فمن الأمور التي تأسست في أحضان الوالدين، واعتبر المنبع الرئيسي الذي تستقي منه هي الشخصية وشرف النفس وعزتها، وكذلك الاحتياط ودعاة النفس وضعتها في الإنسان، فهما - الوالدين - المسؤولان المباشران عن كل ما يعترى ساحة الطفل من سلبيات وإيجابيات الخلق عند الطفولة وما بعدها. قال تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) (٢٧) حتى تستطيع الأمم أن تتقدم وتزدهر، وتبلغ أهدافها في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لا بد أن توفر لأبنائها عناصر التربية الحية، الواعية، الهادفة لتقدمهم وبناء شخصيتهم. أما الأمم التي لا توفر لأبنائها مثل هذه الأجواء، فلا بد أن تتخلف عن مسيرة الأمم المتقدمة. ويشير القرآن الكريم إلى أن التربية من الأمور الكسبية التي يتطبع عليها الإنسان كما في الآية المتقدمة. فالآية الكريمة تدل بوضوح أن ما يحصل عليه الإنسان من علم ونضج فكري إنما هو عن طريق ما يتلقاه ويلتقطه عبر السمع والبصر والعقل. فالتكوين الاجتماعي والنفسي في الغالب ليس إراثاً فينتقل من الآباء إلى الأبناء، وإنما هو ناشئ عن التربية، ولذا فهي ضرورة للفرد كما هي ضرورة للمجتمع، فتربية الأبناء تبدأ من خلال الأسرة. فهي لها الأثر العميق والبعيد في تحديد ملامح شخصية الطفل؛ لأنه يستند إليها في سنه المبكرة ويعتمد عليها في العناية وتوفير الوسائل

٢٦ - محاضرة لسماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) بعنوان إعداد الأجيال .

٢٧ - سورة النحل: ٧٨.

والأجواء التي تؤدي إلى نموه الجسمي والنفسي(٢٨).

فالطفل عبارة عن ورقة بيضاء لم يسبق أن يكتب عليها أو يملأ لها إلا على يدي الوالدين باعتبارهما المسؤولين عن تربيته ونشأته؛ لأنه - كطفل - قد فطر على متابعة مسيرة حياته الطفولية معهما بكل ما تمليه عليه الحياة من مساوئ ومحاسن أثناء طفولته. والطفل الذي لم يتوجه إليه توجهاً كافياً من ناحية الأبوين يكون في مستقبل عمره سيئ العمل، ويفرط في الخشونة مع أولاده ومع غيرهم، كأنه يريد بذلك ملأ فراغه النفسي(٢٩).

وحينما نُشير إلى الطفل فمعنى هذا أننا نشمل بهذه الإشارة كلا الجنسين من ذكر وأنثى، وما يجب على الآباء تقديمه لهما، ربما يختلفون من حيث كثرة العناية والاهتمام، فالذكور في تربيتهم قد لا يشتملون على نسبة من العناية والاهتمام تساوي ما عليه في الإناث، وفي مواضع أخرى قد يشتركون في نفس الظروف ويؤمرون بنفس الأوامر والنواهي.

لقد أخذ المجتمع الجاهلي أحكاماً تفرق كثيراً بين الذكر والأنثى، لطبيعة احتياجاتهم ومستوى فهمهم للحياة، فقد كانوا يبقون على الذكر ظناً منهم أنه الأقوى في مصارعة الحياة والأكثر في العطاء والبذل، كما أنه الوحيد الذي يحمل اسم العائلة وعزّها وشرفها، بينما تجدهم يندون النساء لأنها لا تحمل شيئاً مما سبق ذكره، إضافة لكونها تحتاج إلى نفقة كثيرة من أجل معيشتها، كما أنها ربما تكون مصدر تعاستهم عند انحرافها، لأنهم ينظرون إلى أن مسائل العزة والشرف كثيراً ما تتعلق بالمرأة دون الرجل، ولهذا كانت المرأة عرضة للقسوة والضرب والبطش الشديد. وهذا ما ذكره الله تعالى في كتابه: (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) (٣٠).

فحينما جاء الإسلام وأخذ الرسول (صلى الله عليه وآله) تصحيح خطأ الجاهلية ووعظهم بضرورة فهم طبيعة الحياة حيث إن الرجل والمرأة هم أساس المجتمع وقوامه، فكما للرجل أهمية فالمرأة أيضاً مكانة أخرى، وأنها ليست ذات نفقة أكثر من الرجل بحيث تؤدي إلى قتلها والتخلص منها، فكل رزق إنما هو من الله تعالى حيث قال سبحانه: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم) (٣١).

ورغم كل ما جاء به الإسلام العظيم فلا زالت في مجتمعاتنا رغم التقدم الحاصل في ميادين العلم بعض الجوانب السلبية في التعامل مع الفتاة في المجتمع، ابتداءً من ولادتها وما يعتري وجه أبويها من الحزن والتعاسة، وكأنهم قد أشرفوا على ما يخبئه المستقبل وتنباؤا بتعاسة الأيام المقبلة وعادت صور الجاهلية إلى أذهانهم مرة أخرى، وقد أحصى ذلك القرآن الكريم حينما ذكر تعالى (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) (٣٢).

وكما أن للرجل دور في الحياة، فإن للمرأة أيضاً دور يتناسب وطبيعتها التي خلقت من أجلها، ولهذا فإن كل

٢٨ - من محاضرة بعنوان إعداد الأجيال، لسماحة الإمام الشيرازي (دام ظله).

٢٩ - كتاب الاجتماع ص ٥١ ج ٢، لسماحة الإمام الشيرازي (دام ظله).

٣٠ - سورة التكوين: ٨.

٣١ - سورة الإسراء: ٣١.

٣٢ - سورة النحل: ٥٨.

ما يقدم في برامج تربية من بادئ الحياة تعتبر هي أساساً تقوم عليها استقامتهما أو انحرافهما. فتربية الفتاة مثلاً، ولأجل ضمان استقامتها واستمرارية ثباتها على الطريق القويم، لا بد من استخدام أسساً مدروسة لتعليمها وتفهمها بما يتناسب ودورها المستقبلي في الحياة بصفتها امرأة، فهي تحتاج إلى شيء من العناية والعناء لأجل ضمان الطريقة الصحيحة في تربيتها بعيداً عن البرامج التربوية للذكور مثلاً؛ لأن دور الرجل في الحياة يختلف عن دور المرأة، فالفتاة وكما يصفها الرسول (صلى الله عليه وآله) بأن (المرأة ريحانة وليست قهرمانة) (٣٣)، لا تستطيع وبأي شكل من الأشكال أن تتخذ موقع الرجل في المجتمع، فهي لا تستطيع على القهر والصعاب ومصارعة الحياة وخاصة في عصرنا الحالي مع تطور العلم وتغير قوانين الحياة من بلد إلى بلد آخر.

فإسباغ القليل من العناية الخاصة في تربية الفتاة سوف يجدي نفعاً وخاصة في بداية حياتها، وحينما تبتدأ منذ الوهلة الأولى من معرفة حقيقتها كأنتى وما يتوجب عليها من التزامات هي غير التزامات الذكور مثلاً. فعن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): (... ويؤمر - أي الولد - بالصلاة لتسع..) (٣٤) وهذا أمر مشترك بين الذكر والأنثى وخاصة في هذا العمر الذي يساعد على ترويض الإنسان وترسيخ كافة المفاهيم الملقة عليه من الوسط المسؤول عن تربيته، فيزداد على ذلك بالنسبة للفتاة مثلاً ضرورة الستر باعتباره واجباً على الفتاة كحجاب ضمن المقاييس الدينية التي لا تخرج عن المألوف وخاصة في الشريعة الإسلامية، فتعليم الفتاة على الالتزام بالحجاب يخرجها من الحرج الذي يقع مستقبلاً خاصة وهي تتشبه بالرجال وهذا التشبه يخرجها عن كونها أنثى ويبعدها عن تعاليم دينها حيث قال تعالى: (ولا تبرجنَّ تبرجَ الجاهلية الأولى) (٣٥).

وإضافة إلى تعاليمها الدينية، لا بد من تعليم الفتاة طبيعتها الخلقية ووظيفتها العملية كدور أساسي تبنى عليه الحياة بالاشتراك مع الرجل، فهي أم ورئيسة منزل قبل أن تتسّم منصباً خارج هذه الدائرة ربما يؤدي بها إلى إشغالها عن وظيفتها الأساس كأمينة على أعظم رسالة تربوية تقدمها للمجتمع تبدأ من ولدها حينما تفتح عيناه على هذا الكوكب وهو يرى دور أمه في تربيته وتثيقه ونجاحه في الحياة.

أما على صعيد المجتمع بكامله، فالفتاة هي جزء لا يتجزأ من المجتمع تؤثر فيه كما تتأثر منه، فعندما تصبح الفتاة المسلمة مكلفة بالتكليف الشرعي وجب عليها ما يجب على المكلفين من التخلق بمكارم الأخلاق لا سيما الحياء والعفة والقناعة والصدق وأداء الأمانة في الأقوال والأفعال إلى غير ذلك.

فأي انحدار في مستوى صفة من هذه الصفات لا بد أن يؤثر سلباً على المجتمع فيؤدي إلى انحلاله وسقوطه. وإن ترسيخ هذه المفاهيم في ذهن الفتاة يتأتى بالدرجة الأولى من عناية الوالدين بها منذ الطفولة ووضعها أمام الكثير من الحقائق لدراستها وترغيبها فيها ابتداءً من الواجبات التي يفرضها الشرع والدين عليها وانتهاءً بالواجبات التي من الممكن أن تتعامل بها مع المجتمع بما لا يخرجها عن واقعها وحالتها النزوية العفيفة.

٣٣ - الكافي: ج ٥ ص ٥١٠.

٣٤ - الكافي: ج ٦ ص ٤٦.

٣٥ - سورة الأحزاب: ٣٣.

لذا كان من التعاليم المهمة التي شدّد بها علماء التربية المسلمون على والد الفتاة، أن يؤدي لها مراسيم السنّة عند ولادتها كما يفعل بالنسبة للذكر، كأن يؤذّن في أذنها اليمنى ويقيم في اليسرى، كذلك إن عليه أن يحسن تسميتها لأن عكس ذلك سوف يوقعها بالحرج بين بنات جيلها مستقبلاً، كما أن مراسم التلقين تغرس في نفسها حب العقيدة وتسمو بها إلى أولى مراتب الفضائل.

كما أن الكثير من التعاليم التي توصي بها الشريعة الإسلامية لها دور فاعل في ثبات واستقرار المفاهيم الإسلامية حتى الكبر، وتعود على الفتاة بنتائج إيجابية، فغرس بذور الحياء والاحتشام جزء من الإيمان كما في قوله (صلى الله عليه وآله): (... والحياء شعبة من الإيمان) (٣٦).

ثم لا ننسى ما للأُم من دور فاعل وكبير في تربية فئاتها، وخاصة حينما تكون الأم امرأة طاهرة العرق ومن بيئة وأُسرة لم تَدنّسها الأحداث، مسلمة تُحِلّ حلال الله وتحرم حرامه، فحين ملازمتها للفتاة في معظم الأوقات تستطيع بحسن ذكائها وحذاقتها أن تغرس في عقلها أجمل آيات الفضيلة والأخلاق الرفيعة، كما قال الإمام علي (عليه السلام): (... وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية، ما ألقي فيها من شيء قبلته) (٣٧).

ويجمع علماء النفس والمربون على إمكانية توظيف الغرائز وتوجيهها في الفتاة نحو الجوانب الجمالية في حياتها.

فغريزة الخوف من الأخطار الخارجية مثلاً، يمكن أن توجه نحو طاعة الوالدين والكبار من الناس من خلال مخافة الله تعالى، وغريزة حب الذات والمتاع يمكن توظيفها نحو حب الله والأنبياء والأصفياء والصالحين من الناس والأهل والأخوة والأقارب والأصدقاء، وهكذا بالنسبة إلى بقية الغرائز في توجيهها نحو جوانب الاستقامة وتطهير النفس من الغرائز الحيوانية، فعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (يا معاشر الأنصار أدبوا أولادكم على حب علي (عليه السلام) (٣٨).

كما يقول علماء التربية الإسلامية: إن على الآباء والأمهات وبعد بلوغ الفتاة السن السابعة تشجيعها على لبس الحجاب وبصورة بعيدة عن الإكراه، فتعويدها يكون بالتدريج والترغيب والإقناع، كي تترسّخ في ذهنها تلك الرغبة عن حب وقناعة وفهم لما يصونها ويقيها شر الفتنة والإغراء ومكر الفسقة الذين يحاولون النيل من كرامتها وعفتها، فقد قال تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً حلماً) (٣٩).

فالحجاب عبارة عن ستار شرف، تصون به المرأة ماء وجهها، فحينما تتدّرع به الفتاة المسلمة يزيد من أنوثتها ويضفي عليها مهابة ووقاراً.

فعلى الوالدين أن يزرعوا في نفوس فتياتهم تعاليم دينهم وأحكام شريعتهم السمحاء لأنها الحصن الحصين الذي لا تتمكن منه معاول الثقافات المنحرفة، والتي تشجّع على الاختلاط الذي يضيّع أنوثة المرأة برجولة

٣٦ - بحار الأنوار: ج ٦٢ ص ١٢٢.

٣٧ - نهج البلاغة، د. صبحي الصالح: ص ٣١٣.

٣٨ - من لا يحضره الفقيه: ج ٣ ص ٤٩٣.

٣٩ - سورة الأحزاب: ٥٩.

الرجل، فتختلط الأوراق وتنقلب المفاهيم، لذا فإن على الوالدين الانتباه كثيراً إلى سلبية اختلاط الفتاة بالذكور، سلبية ما تطلقه شائعات العولمة الثقافية من مساواة الرجل بالمرأة، فإنها سبل مقبولة للقضاء على المرأة وانحراف الشباب.

إضافة إلى إيهام الفتاة بزيغ ما يدعونه من الحرية والديموقراطية الخارجة عن كل حدود ومبادئ العفة والكرامة، فما يدعونه هو انتقاص لكرامتها وتزييف لدورها الحقيقي الذي خلقت من أجله، فمتى كانت الحرية انتقاصاً لكرامة المرأة وعفتها وغيبتها..؟ ومتى كانت الديموقراطية التي يدعونها بناءً، وهي تشجع الفتيات على البغاء والتبرج اللامعقول والخروج عن المألوف..؟

ركن الأسرة

حقوق المرأة في النظام الأخلاقي الإسلامي

أحمد خالد

يذهب البعض إلى ضرورة التعامل مع آثار النظم الغربية بإدعاء مؤداه أن ظروف الحياة تغيرت وأن مستلزمات القرن الجديد تستدعي هذا التعامل وللمرد على مثل هذه الادعاءات لا بد من الإشارة إلى متطلبات الانسجام مع التحولات الزمنية ليس على ذلك المستوى من السذاجة الذي يتخيله هؤلاء ويلوكونه بالسنتهم فحركة الزمن تستبطن تقدماً كما تتضمن انحرافاً، من هنا كان لا بد من المضي باتجاه التقدم والحيلولة دون الانحراف.

فالمنهج الإسلامي مفهوم حضاري لكل العصور ولمختلف الأزمات ولم يتناول في تشريعاته الصورة الظاهرية للحياة والمرتبطة بشكل تام بمستوى المعرفة البشرية بل اهتم بمضمون وروح وهدف الحياة، من خلال تطبيق القوانين السماوية التي تحقق لبني البشر العدل والمساواة والرحمة. والمرأة هي جزء لا يتجزأ من هذا المفهوم.

وهناك اعتراف في غاية الأهمية تجاه الإسلام والمرأة من قبل العالم الألماني (دريمان) حيث يقول (إن إعطاء محمد المرأة حريتها هو وحده السبب في نهوض العرب وقيام مدنيته، ولهذا لما عدا اتباعه فسلموا المرأة هذه الحرية انحطوا واضمحلت مدنيته). لكن حضارتنا الإسلامية تعرضت إلى الضياع والإساءة بعد عصر الرسول حيث الفتوحات التي وصل بها العرب إلى بلاد الصين شرقاً وبلاد الإفرنج أو فرنسا غرباً. وما تحدثنا عنه الروايات التاريخية راح الأمويون والعباسيون إلى الانشغال بملذاتهم والتأثر بالجاه والفجور الذي كان واضحاً في عصرهم إلى درجة فاق ما شهدوه وتأثروا به عند الغرب إلى حد يندى له الجبين.

وهذه نقطة مهمة في الحديث عن المرأة بشكل عام فهي بين حدين مختلفين الأول في الرجل والحد الثاني الهبوط الأخلاقي للمرأة من خلال هدر كرامتها وضياع حقوقها الشرعية عند ذاك يعيش الرجل في حالة تخبط نتيجة ابتعاده عن روحية الدين وشرعية السماء. ولهذا ظهرت أمراض خطيرة بسبب إساءة العلاقة بين الرجل والمرأة، وتشير دراسات عديدة وضعت في مجال البحوث الاجتماعية والتربوية إلى أرقام مخيفة تتعلق بمجالات الطلاق والأبناء غير الشرعيين وارتفاع نسبة الجريمة ثم الانتحار وإحصاءات عديدة كلها تشير إلى فقدان التوازن الأخلاقي في المجتمع لعدم إفساح المجال للمرأة كي تمارس حقها الطبيعي في الأسرة والحياة.

فحين نتحدث عن حقوق المرأة في الإسلام فلا بد أن نتذكر الحق الأول لها وهو حق الحياة. لأن المجتمع العربي قبل بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يند البنات فالأم الحامل حين يأتيها المخاض كانت تلد الجنين بالقرب من حفرة معدة لهذا الغرض بالذات ففي حالة ولادة الأنثى يتم وأدها وفي حالة الذكر يبقى حياً.

ولما جاء الإسلام منح القرآن النساء حقوقاً عدة منها حق الحياة وجعله مقدساً لا يجوز مسه فحرم وأد البنات (وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) (التكوير: ٨ و ٩). ليتبعه الحق الثاني وهو حق الإنسانية ومن هذه

المقارنة يعرف القصد من مفهوم حق الإنسانية قال تعالى (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفصيلاً) (الإسراء: ٧٠). و(خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) (النساء: ١)، (وعاشروهن بالمعروف) (النساء: ١٩) ثم قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): (خيركم خيركم لنسائه وأطفالكم بأهله) (من لا يحضره الفقيه: ج ٣، ص ٤٤٣). وبهذا وضع الإسلام أساس فلسفة الحقوق من خلال بيان وإيضاح أصالة العدل في الإنسان بشك عام وفي المرأة بشكل خاص.

العوامل التاريخية ودورها في النظام الاجتماعي

يحدثنا التاريخ أن النساء كنّ مشاعاً بين الجميع وليست هناك رابطة أسرية تجمع بين زوج وزوجة بل الزوجة للاستمتاع الحيواني الجسدي فقط.

وتقول أسطورة صينية: أنه بعد بدء الخليقة كانت النساء مشاعاً منهن الرجال ما يشاءون، ولم يكن الأبناء يعرفون آباءهم وكان الأبناء يلزمون أمهاتهم إلى أن تولى الإمبراطور (فوهي) العرش فنظم الزواج مع التعدد. هذا عن الصين. أما المؤرخون اليونانيون فيقولون: إن مشاعية النساء وإهانة إنسانيتهن كان موجوداً في مصر منذ بدء التاريخ وإلى عهد الملك (ميتا)، ووجد أيضاً عند اليونان وقد نادى أفلاطون في كتابه الشهير (الجمهورية) بأن تكون النساء مشاعاً بين كل المحاربين ونادى بضرورة أن تكون النساء مشاعاً بين حكام الجمهورية العشرة حتى لا يعرف الأب ابنه ولا الابن أباه منعاً للتنافس والخلاف بين الحكام.

كذلك دعا (أبيقور) إلى الاستمتاع واللذة حتى غصت حديقة منزله بالرجال والنساء في صورة منفرة. ومن بعده نادى جزوك فيلسوف الفرس بشيوع النساء. هذه الصورة المقززة ومهانة المرأة في حين ضمن الإسلام حقوقها الإنسانية بالمعاشرة الطيبة واللفظ والرحمة. وإعطائها الدور القيادي في تدبير شؤون الأسرة ونجد ما يناقضه في الحضارة الغربية فالهيبيون مثلاً يمارسون الفاحشة في الشوارع والحدائق دون استتار أحدهم. وهناك حدائق تسمى بحدائق أو جزر العراة. في فرنسا وبريطانيا وأستراليا والولايات المتحدة الأميركية. ألسنا من نمتلك مفتاح سعادتنا الحضارة الإسلامية؟ كيف لا وهي من أعطت المرأة الحق الأول حق الحياة، ثم الحق الثاني وهو الاعتراف بإنسانيتها حفاظاً لكرامتها التي هي كرامة للبشرية جمعاء.

إن الثورة الفكرية التي وثبتت المرأة بمبادئها الإسلامية لا يوجد ما ينقضها في المجتمع الغربي الذي نادى بما يسمونه حقوق المرأة ثورتهم الفكرية ماذا أعطت من نتائج؟ يقول (جال ليت)، و(لي مورتيمو) وهما صحفيان أميركيان عن أسرار المرأة الأميركية: لقد تبين استناداً إلى الإحصائيات إن نسبة عدد النساء في الولايات المتحدة الأميركية قد زادت عن نسبة الرجال في السنين الأخيرة. وسبب ذلك أن المرأة تحررت تماماً من سيطرة الرجل وراحت تزاحمه في ميدان الأعمال الحرة والسياسة والتجارة حتى في سلك الشرطة والجندية، وقد كان من جراء هذه الحرية المطلقة التي نالتها المرأة أن نشأت عدة صعوبات اقتصادية واجتماعية أبرزها واشدها خطراً هي أعراض الأميركي عن الزواج لا سيما من الفتيات اللواتي يدعين التحرر وممارسة أهوائهن، لأنهن في نظره غير صالحات لتكوين أسرة وتربية أطفال. ولذلك ازدادت أزمة الزواج تعقيداً، وارتفع عدد الفتيات العازبات بضعة ملايين، ثم يمضي هذان الصحفيان الأميركيان بالقول:

(إذا أمعنا النظر في سبب استفحال هذه المشكلة الاجتماعية تبين لنا أن سبباً آخر يأتي في الطليعة وهو أن

الرجل الأميركي راح يعمد إلى أهون الوسائل لإشباع غرائزه الجنسية فالمرأة متوفرة في جميع الأماكن التي يرتادها في المكتب أو في النادي، في الحانة والمطعم أو عل الشاطئ، فيختار لنفسه الفتاة التي تحلو له ويتخذها عشيقه له، فلا ترهقه بطلباتها ونفقاتها.

وهذا الحديث له دلالة بارزة فيما يتعلق بظاهرة الفوضى التي تمارسها المرأة في المجتمع الأميركي. ولو أطلعنا على مثال آخر فيما يتعلق بموضوع المقارنة بالنتائج التي أفرزها الغرب الحديث عن حقوق المرأة والتقدم الحضاري. نرى أن شبكة التلفزيون الأميركية تعرض لمشاهدها بما يندرج تحت عنوان: (تحقيقات) في قناة N. B. C الذي يتحدث في إحدى حلقاته عن دور المرأة العاملة في الأعمال الشاقة والخطيرة كملاحقة المجرمين وعن الصعوبات التي تواجهها في تربية الأطفال. فأحدى السيدات ممن لديها ثلاثة أطفال أكبرهم سناً لا يتجاوز عمره إحدى عشرة سنة يتولى بنفسه مسؤولية البيت غياب الأم بسبب غيابها في العمل وانفصال الأب. وهذه واحدة من المؤشرات السلبية لمظاهر الحضارة المزيفة للمجتمعات غير الإسلامية.

المرأة كائن غير ناقص

هناك بعض الفوارق الجزئية بين الرجل والمرأة في عوامل الخلقة والإحساس وهذا لا يشكل نقصاً في أحدهما بل أن قضية المرأة والرجل كما يعبر عنها علماء الإسلام المعاصرين مثل السيارة الصغيرة المعدة لحمل المسافرين، والسيارة الكبيرة المعدة لحمل الحديد والأحجار أن صح التعبير والاختلاف بينها وبين الرجل هو لأجل المصلحة). فالمرأة خلقت عاطفية أكثر من الرجل لدورها في تربية الأطفال والرجل عقلانياً أكثر وذلك لما يقتضي اجتماع كلا الأمرين فجعل التساوي المطلق خلاف تركيب خلقهما)

هكذا تناول الإمام الشيرازي هذا الجانب للرد على بعض الادعاءات التي نالت من المنهج الإسلامي وادعت بأن الإسلام لم يمنع المرأة حقوقها. بالوقت الذي لم نجد أن هنالك دين كالإسلام في دعوته لإعداد العالم بأسره لأن يكون مجتمعاً مقتدراً ونافعاً وفق قيم المبادئ النبيلة والرفيعة وعلى أساس أخلاقية متينة...

المنهج الإسلامي في حقوق الإنسان

لاشك أن البشرية بحاجة إلى القوانين التي تضمن لها إنسانيتها متبعاً المعيار السليم للأخلاق ووفقاً إلى الحاجة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المرتبطة بحقوق المجتمع والأمة بشكل عام ولهذا فإن مراجعة الأفكار والسياسات التي وردت في مجال حقوق الإنسان ما هي إلا مؤشراً للاستقرار والاطمئنان.

ففي الوقت الذي طرحت فيه حقوق الرجل طرحت مقابلة حقوق المرأة التي تشارك الرجل في المعنى الإنساني ليتحقق الشرط الأساسي لسعادة كل من الرجل والمرأة بل سعادة المجتمع الإنساني بشكل عام، وهو أن يستمر كل من الجنسين في حركته ضمن مداره وهذه الحرية والمساواة ستحقق ثمارها الحقيقية حينما لا يخرج أي من الجنسين عن مداره الطبيعي والفطري. لقد ضمن القرآن منذ أو نزوله الخطوة المتقدمة في مصلحة المرأة، ولكن هنالك مسألة يجب الإشارة إليها لقد تناول القرآن ولم يغفل نقطة مهمة عند المرأة وهي أنوثتها على أساس واقعها الطبيعي والتكويني وبهذا حصل الانسجام الكامل بين إبعازاته وأوامره فكانت المرأة في

القرآن صورة واقعية للتركيب التكويني لها، لقد تناول المنهج الإسلامي مسائل شاملة وتفصيلية بهذا الخصوص في موضوع الخطبة والزواج بنوعيه المنقطع والدائم والاستقلال الاجتماعي والأسس التكوينية للحقوق العائلية والاختلافات القائمة بين الرجل والمرأة والمهر والنفقة والإرث والطلاق وتعدد الزوجات. وعدة مسائل أخرى كان لها أثراً بارزاً في نظام المجتمعات الإسلامية.

مسؤولية المجتمع تجاه الزواج

مما لا شك فيه (إن الابتعاد عن الدين يسبب كل ما تراه من الفواحش والمنكرات ومظاهر الفساد المختلفة وأن المجتمع هو المسؤول الأول عن كل هذا الانحراف وأن إغلاق الأبواب بوجه الإسلام وفتحها بوجه الأفكار الكافرة سيؤدي حتماً على ظهور العقبات أما الزواج وباقي مسائل الحياة ويؤدي بالتالي إلى ارتكاب المحرمات والفواحش). هكذا تناول الإمام الشيرازي هذه الزاوية التي تعد من الأركان الأساسية لهذه القضية باعتبارها جزءاً من واقع الحياة العامة سواء في مجتمعاتنا الإسلامية أو في باقي المجتمعات الأخرى كون الإسلام دين للعالم كله).

المرأة وطلب العلم

إن الإسلام لا يمنع من طلب ولا من تعلم المرأة ولا يمنع من عمل المرأة أعمالاً تتناسب شرفها وعفافها وإنما الذي منع عنه الإسلام هو الاختلاط والسفور وحضور الفتيات المحلات المريبة..)

المصادر

- ١ - هكذا الزواج في الإسلام، الإمام الشيرازي ص ١٥، ص ٢١.
- ٢ - الحجاب الدرع الواقى، الإمام الشيرازي ص ٢٥، ص ٢٨.

شبهات وردود

سنة زيارة القبور عند المذاهب الإسلامية

يسعى المؤمن دائماً إلى الارتقاء لمعالم الفيض والإشراق هنالك إذ يرى أن الألفة التي تشده مع الله سبحانه وتعالى هي جنة من جنات الخلد والسعادة وما أحلى أن يتعاطى العبد نوع من أنواع هذه الألفة التي تذكره بأيام الآخرة ألا وهي زيارة قبور الأئمة والأرواح الطاهرة وقبور موتى المسلمين.

ترى لماذا يفسر البعض هذه الظاهرة على أنها بدعة في الإسلام؟ مع العلم أن مثل هذه الممارسات كانت في عصر الرسالة الأول، ويكون الأمر شركاً إذا كان هذا الأمر ذاتية مستقلة عن الله. أما لو اعتقد المرء بأن هذه القيمة اكتسابية ومنتزعة وأن مصدرها هو الله تعالى، فإن هذا يدخل في عنوان شعائر الله.

قال الله تعالى: (فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً) (سورة الكهف: آية/٢١). وهذا يدل على أن البناء على قبور الأولياء والأئمة الصالحين أمر طبيعي جداً عند أهل الأديان، وقد أقر الله تعالى هذه الممارسة لأن فيها تعظيماً لشأنه من خلال تعظيم أوليائه.. والآية جاءت في سياق التمجيد ، وليست في سياق الاستنكار.

كما ورد في قوله تعالى: (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) (البقرة: آية/١٢٥) إذا لو أن أحداً يأتي لزيارة هذه المساجد ويعتقد بأن لهذه المشاهد قيمة مستقلة، عندئذ سيكون قد أشرك.. ولا نعتقد أن أحداً من المسلمين يأتي لزيارة هذه المساجد بهذه النية، بل إن المسلمين عندما يأتون إنما بقصد التقرب إلى الله ومراضاته من خلال زيارة قبور الأولياء والأئمة الذين ضحوا في سبيل الله، أي أن زيارتهم لها بنية القربة إلى الله تعالى كما لو ينوي الزائر فيقول نويت الصلاة بنية القربة وهذه النية يترتب عليها ثواباً وأجرأ مضاعفاً في المسجد وهذه الشعائر حصلت منذ أيام الرسول والصحابه، إذ لم يكن الرسول (صلى الله عليه وآله) ينهاهم عن أمر وهو يعلم أن الطبيعة البشرية تحتاج إلى أن تجسد ولاعها وتحول ذلك إلى حالات محسوسة.

س/ ترى ما هو مورد الفتوى التي حرمت زيارة القبور؟

تثير الأحاديث والروايات على أن ابن تيمية أفتى بتحريم شد الرحال لزيارة قبور الأئمة والصلحاء مستنداً بما ورد من النهي عن شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد النبي، والمسجد الأقصى) (رواه البخاري عن أبي هريرة).

وهذا الحديث الذي أتخذه الوهابيون حجة لا يدل على حرمة شد الرحال إلى زيارة القبور، والأماكن المشرفة وذلك لأن الاستثناء الوارد في الحديث مفرغ قد حذف فيه المستثنى منه، فكما يمكن أن يكون تقدير المستثنى منه: (لا تشد الرحال إلى مكان من الأمكنة) يمكن أن يكون تقديره: (لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد). ولكن المتعين هو الثاني لكون الاستثناء متصلاً وهو يقتضي تقدير (المسجد) بعنوان مستثنى منه، لا غير. إن الضرورة قاضية بجواز شد الرحال إلى طلب التجارة، وإلى طلب العلم، وإلى الجهاد، وزيارة العلماء

والصلحاء، وإلى التداوي وإلى النزهة، وإن المسلمين في مواسم الحج يشدون الرحال إلى عرفة والمزدلفة ومنى...

هذا مضمون الحديث ومعناه لا يفهم أو يدل على حرمة السفر إلى باقي المساجد، بل هي ظاهرة في أفضلية هذه المساجد على ما عداها بحيث بلغ فضلها أن تستحق شد الرحال والسفر إليها للصلاة فيها. أما سائر المساجد فليس لها هذا الشأن.

كما أن النهي عن شد الرحال إلى سائر المساجد دون الثلاثة ليس نهياً إلزامياً بل هو للإرشاد إلى عدم ترتب ثواب وافر على التوجه إلى سائر المساجد. ويدل على ذلك إن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يشد الرحال إلى غير المساجد المذكورة في الحديث كما جاء في صحيح البخاري: ففي باب إتيان مسجد قبا ركباً وماشياً، عن ابن عمر قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يأتي قبا ركباً وماشياً (٤٠).

س/ من يجوز زيارة القبور من المسلمين؟

أهل السنة والإمامية اتفقوا على جواز زيارة القبور، ويظهر ذلك لمن يراجع الكتب الفقهية الحديثة. ويكفي في ذلك ما أفتى به أئمة المذاهب الأربعة حيث جاء في كتاب (الفقه على المذاهب الأربعة) ما يلي: (زيارة القبور مندوبة للاتعاظ وتذكر الآخرة، وتتأكد يوم الجمعة ويوماً قبلها ويوماً بعدها. وينبغي للزائر الانشغال بالدعاء والتضرع والاعتبار بالموتى، وقراءة القرآن للميت فإن ذلك ينفع الميت على الأصح، إلى أن قال: ولا فرق في الزيارة بين كون المقابر قريبة أو بعيدة، بل يندب للسفر لزيارة الموتى خصوصاً مقابر الصالحين، وأما زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) فهي من أعظم القرب) (٤١).

س/ ما هي الاستدلالات أو الشواهد التي تدل على إمضاء الرسول (صلى الله عليه وآله) لزيارة القبور؟

هناك أحاديث كثيرة تؤكد على زيارة القبور ونورد هنا بعض النصوص، فعن عائشة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) رخص في زيارة القبور (٤٢). وعن أبي هريرة: أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (فزورا القبور فإنها تذكر بالموت) (٤٣).

وأما الدليل المبني على سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) فهناك أمثلة كثيرة على ذلك. فقد روي عن طلحة بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله يريد قبور الشهداء إلى أن قال: فلما جئنا قبور الشهداء قال: هذه قبور إخواننا (٤٤). وعن أبي بريدة عن أبيه قال الرسول (صلى الله عليه وآله): (قد نهيتكم عن زيارة القبور فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه فزورها فإنها تذكركم بالآخرة) (٤٥).

٤٠ - صحيح البخاري، ج ٢، ص ٦١، انظر التوحيد، ص ٢٨٠ - ٢٠٩.

٤١ - الفقه على المذاهب الأربعة، ج ٣، ص ١٤، ص ٢٤ - ٢٥، ٢٥، آخر كتاب للصلاة. انظر التوحيد والشرك، ٦ ص

٢٠٦

٤٢ - سنن ابن ماجه ج ١/ ط بيروت.

٤٣ - صحيح مسلم ج ٢/ ٦٧١ - ٦٧٢ ط بيروت.

٤٤ - أخرجه أبو داود في سننه، ج ١، ص ٣١١.

٤٥ - ذكر ذلك:

كما أن أقوال علماء أهل السنة في استحباب الزيارة لقبر الرسول كثيرة جداً وقد تتبع بعضها المحقق الأمين وجمعها في موسوعته القيمة منها: قال أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الفقيه البغدادي في مناسكه: إذاكمل لك حجك وعمرتك على الوجه المشروع، لم يبق بعد ذلك إلا إتيان مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) للسلام على النبي والدعاء عنده، والسلام على صاحبيه، والوصول إلى البقيع وزيارة ما فيه من قبور الصحابة والتابعين (٤٦).

س/ ترى ما هي الأدلة الثبوتية في موارد الاستحباب؟

ظن البعض أن زيارة القبور هي نوع من أنواع التعامل مع حجارة أو كتلة لا فائدة منها تذكر والمسألة ليست هكذا لأنها - أي زيارة القبور - لا تعني التعاطي الجامد مع كتل الحجارة والتراب بل هي أكبر من ذلك بكثير فهي تمثل - وخاصة قبور الأولياء والأئمة - معلماً من شواهد الرسالة وشاهداً من شواهد المسيرة، وهي تفتح ذاكرة الإنسان المسلم على تاريخ الرسالة بكل ما يزخر به من مواقف وأحداث. كما أن زيارة القبور تؤدي إلى تأصيل الولاء لأشخاص ضحوا بأرواحهم في سبيل إعلاء كلمة الله، وهي تمثل رد جميل وتقدير وتكريم لهذه الشخصيات العظيمة.

ناهيك عما تؤديه زيارة القبور كونها تؤدي إلى التسليم بحتمية الموت وأن الحياة زائلة لا محالة وبالتالي تربط الإنسان المسلم بربه ويقول الرسول (صلى الله عليه وآله): (أكثرُوا من ذكر هادم اللذات) ويقول أمير المؤمنين: (أوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة).

لذلك فإن ذكر الموت وزيارة القبور تذكر بالآخرة وتزهد بالدنيا قال الرسول (صلى الله عليه وآله): (زورا القبور فإنها تذكركم بالآخرة) وقال أيضاً: (زورها فإنها تزهدهم في الدنيا وتذكركم بالآخرة).

البقيع وزيارة القبور

ولغرض تقريب الأذهان لأهمية هذه الزيارة المرتبطة بقداسة تلك الأرواح التي حلت بفناء الله سبحانه وتعالى نتناول أهمية زيارة البقيع لما تعرضت له على أيدي الوهابيين الذين قاموا بهدم القبور التي تحوي تلك الأجساد الطاهرة. لقد تناول ذلك السيد الإمام الشيرازي دام ظله بصرخة نافذة تؤكد على مضمون أهمية أحياء هذه البقعة الطاهرة تقديساً لتلك الأرواح الطاهرة التي حلت منها، فالبقيع مقبرة مقدسة في المدينة المنورة، وكانت لها قيمة روحية كبيرة لدى المسلمين وكانوا يتوافدون لزيارة هذه البقعة المقدسة عملاً بالسنة الإسلامية ونظراً للاستحباب المؤكد لهذه الزيارة على لسان نبينا (صلى الله عليه وآله) وأنمتنا (عليهم السلام) وخاصة قبور ذرية رسول الله وأولياء الله تعالى.

وقد دفن فيها أربعة من أئمة أهل البيت وهم: الإمام الحسن بن علي والإمام زين العابدين والإمام محمد

أ - مسلم في صحيحه ج ٧ / ٤٩ / كتاب الجنائز. ط بيروت.

ب - الترمذي في صحيحه ج ٤ / ص ٢٧٤ / كتاب الجنائز. ط بيروت.

ج - ابن ماجة في سننه ج ١ / ص ٢٦٢ / ط الرياض.

٤٦ - الغدير، ج ٥، ص ١٠٩.

الباقر والإمام الصادق (عليهم الصلاة والسلام) كما دُفن فيها: إبراهيم ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإسماعيل ابن الإمام الصادق، وبعض بنات النبي وبعض زوجاته، وعماته، والسيدة أم البنين حرم علي أمير المؤمنين (عليه السلام) ومرضعة النبي: حليلة السعدية، وجمع من الصحابة والشهداء والتابعين... قام الوهابيون بهدم هذه القبور ومساواتها مع الأرض، فحولوا البقيع إلى تراب وغبار وأحجار. بالرغم من قدسية هذه القبور لدى المسلمين كافة حتى أن النبي كان يزور هذه القبور. فعن عائشة قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) - كلما كانت ليلتها منه - يخرج آخر الليل إلى البقيع فيقول: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون غداً مّوجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد) (٤٧).

أهمية زيارة الأئمة

لا شك أن هنالك متعلقات كثيرة في هذا المقام منها الجانب الروحي، والثاني الجانب المعنوي ويقول السيد الإمام الشيرازي (دام ظله) في هذا المورد بأن الزيارة تقربنا من الله أكثر وهي ترفع العبد عن اجتناب المحرمات والرذائل وتقربنا إلى الرحاب الطاهرة، هذا بالإضافة لما لها من أهمية معنوية تصب في تقوية هذه النفس الإنسانية في مواجهة الحياة والاتكال على الله سبحانه وتعالى لأن موطننا الأصلي هو الآخرة وأن الدنيا دار فناء (٤٨).

٤٧ - ذكر ذلك:

أ - مسلم في صحيحه ج ٧، ص ٤٤ / ط بيروت.

ب - الترمذي في صحيحه ج ٤، ص ٢٧٢ ط بيروت.

٤٨ - الإمام الشيرازي. لماذا نزور الإمام، ص ٦. الطبعة الرابعة ٢٠٠٠.

من أعلام الشيعة

الشيخ الإمام الطبرسي

رائد المفسرين وحجتهم

فائق محمد حسين

ولادته:

ولد الشيخ الإمام أبو علي أمين الدين الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي في حدود سنة (٤٥٧ هـ) في مدينة طبرستان، وهي بلاد واسعة مجاورة لبلاد مازندران وجيلان وجرجان في إيران. وهو من أسرة علمية تسلسل فيها العلم والفضل، وجل رجالها من العلماء الأفاضل، وسائر أقربائه من كبار الأدباء. أساتذته:

درس على أساتذة أجلاء، شهدوا بقدرته العلمية وعلو همته وجديته، وأثنوا على حرصه ومثابرته لتلقي العلوم.. وفي نهاية كتابه (مجمع البيان) وفي (أعلام الوري) أيضاً يذكر الشيخ الجليل: أن مشايخ إجازته هم الشيخ أبو الوفاء عبد الجبار المقرئ الرازي، ويروي أيضاً عن الشيخ أبي علي الطوسي والشيخ حسكا جدّ منتجب الدين، وموفق الدين حسين بن فتح الواعظ ومحمد بن الحسين القصبلي الجرجاني وعبد الله بن عبد الكريم بن هوازن القشيري وعبيد الله بن محمد بن الحسين البيهقي.

نشأته

تهيأ للشيخ أمين الدين الجو العلمي المناسب، ومنذ بواكير طفولته تولع في حب القراءة والبحث والتنقيب عن المصادر التي تتحدث عن آل بيت النبوة (عليهم السلام)، فجمع وهو في ريعان الصبا منها الكثير، مما أهله لأن يصدر كتابه (إعلام الوري بأعلام الهدى) في فضائل الأئمة الهداة وأحوالهم. يقول آغا بزرك الطهراني: (كانت نسخة خط المؤلف عند العلامة المجلسي وعنها ينقل في كتابه البحار، صرح به في أوله) (٤٩). والكتاب بجزئين مرتب على أربعة أركان:

- ١ - في ذكر النبي (صلى الله عليه وآله).
- ٢ - في ذكر أمير المؤمنين أمير المؤمنين (عليه السلام).
- ٣ - في ذكر سائر الأئمة من الحسن الزكي إلى الحسن العسكري (عليهم السلام).

٤ - في بيان إمامتهم وذكر الثاني عشر منهم.. وفي كل ركن أبواب وفصول محتوية على تواريخ المواليد والوفيات وطرف من الأخبار ومحاسن الآثار، وفي آخرها دفع شبهات المنكرين لغيبة المهدي (عليه السلام) أوله: (الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد).. وطبع سنة ١٣١٢ هـ (٥٠).

بعد النجاح الذي حققه الشيخ الطبرسي في كتابه هذا واصل دراسته العلمية وحصر جهده في التحقيق والتفسير واللغة حتى عدّ حجة فيها.. وأخذ يحضر مجالس الفقهاء ودروسهم بصورة مكثفة، فألف كتابه (تاج المواليد) فنال إعجاب المهتمين ونجح في لفت أنظارهم إلى هذا العالم الجليل، جاء في كتاب (اللمعة الدمشقية، مبحث الرضاع..): (إثر النجاح الذي حققه أتيح للشيخ أمين الدين الفضل الطبرسي الدخول في زمرة من المجتهدين والعلماء).

طلابه

ذاع صيت الشيخ واشتهر بسبب المعية ونيله مكانة مرموقة في التدريس، الذي بدأ به إثر حصوله على الدرجة العلمية المؤهلة، فأخذ يروي عنه جماعة من أفاضل العلماء ومنهم ولده رضي الدين أبو نصر الحسن بن الفضل، وأبن شهر آشوب والشيخ منتجب الدين والقطب الراوندي والسيد أبو الحمد مهدي بن نزال الحسيني القانيي والسيد شرف شاه بن محمد بن زيادة الأفتس والشيخ عبد الله بن جعفر وشاذان بن جبرئيل القمي وغيرهم.

من القبر إلى التفسير

ومع استمراره في التدريس وانشغاله مع جموع العلماء ومناقشاتهم لم يتوقف يوماً عن التأليف والبحث، حيث واصل سعيه بوتيرة عالية استمرت طوال السنتين سنة من عمره، وبدأ لم يعرف مثله، مما أنهكه وأرهق فكره، وفي أثناء إحدى الدروس التي كان يلقيها على طلبته أغمي عليه من شدة الإرهاق... توقفت دقائق قلبه فجأة! وبعد فحصه من قبل بعض الحضور من طلابه، اعتبر ميتاً! فغسل وكفن وجرى تشييعه في موكب مهيب، ودفن في مقبرة العائلة، وبعد قليل من عودة المشيعين إلى بيوتهم، وفي أعماق القبر المظلم، استيقظ الشيخ من غفوته! فتح عينيه فوجد نفسه في موضع لا يحسد عليه، فحدس ما جرى له وأدرك نهايته !! ولم يجد أمامه إلا الدعاء والتوسل إلى الباري الخالق، فنذر لله تعالى إن أنجاه الله وخرج حياً من القبر فيستشرع بكتابة تفسير للقرآن الكريم! ولم يكد ينتهي من دعائه حتى استجاب الله له.

فما هي إلا دقائق وإذا بأحد لصوص المقابر، من نباشي القبور كان يحفر قبر الطبرسي، لنهب كفنه (الغالي) وبيعه في السوق كي يدّر عليه ثمناً جيداً، واصل النباش عمله حتى وصل إلى جسد (المتوفى)! فأخذ يفتح الكفن لأخذه، لكنه بدل أن يفلح بمهمته فوجئ بيد (الميت) الشيخ الطبرسي تمسك بذراع على غير توقع! لحظتها كادت روح اللص تزهرق من شدة الفرع، غير أن الشيخ هدأ روعه وطمأنه قائلاً: لا تخف، لست بميت،

لقد دفنت بالخطأ! ولقد استجاب الله لنذري ودعائي، فاذهب إلى بيتي وأرتد ثيابي، وسوف أعطيك أكثر مما كنت تبغي، على أن لا تعود إلى نبش القبور مرة أخرى، فإنه عمل محرّم!

وفاء النذر

(وهكذا رجع الشيخ الطبرسي إلى البيت وسط فرحة واستغراب الجميع، فقام من فوره بتأليف كتابه الضخم مجمع البيان في تفسير القرآن، وفاءً للنذر) (٥١).

(يعد كتاب مجمع البيان من أهم كتب الشيعة في التفسير) (٥٢).

وفي كتاب (رياض العطاء جاء ما يلي: (الفاضل العالم المفسر الفقيه المحدث الجليل الثقة الكامل النبيل صاحب كتاب (مجمع البيان) الشهير لعلوم القرآن و(جوامع الجامع) وغيرهما..)
(وكان الشيخ الطبرسي في حدود الستين من عمره حين أنجاه الله سبحانه وتعالى ببركة القرآن المبين وجعله يعيش بعد ذلك في الدنيا قريباً من ٣٠ سنة أخرى مصروفة في خدمة القرآن وإفادة لواء التفسير.. وذلك لما يظهر من مفتتح كتاب المجمع) (٥٣).

جهوده

لقد بذل الشيخ جهوداً جبارة وكرّس كل وقته من أجل إنجاز الكتاب الذي جاء مفخرة لفقهاء الشيعة والمفسرين بالذات.. إذ سد نقصاً في المكتبة الإسلامية، كان يعاني منه كل الدارسين وطلبة الحوزات الدينية، لذا فليس غريباً أن ينال الإعجاب والقبول، وتهافت على شرائه واقتناء نسخة منه الناس البسطاء وكافة المختصين والمهتمين بالتفسير. في كتاب (مجال المؤمنين) جاء ما معناه: إن عمدة المفسرين أمين الدين ثقة الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي كان من نحارير علماء التفسير، وتفسيره الكبير الموسوم بـ(مجمع البيان) بيان كاف واف لجامعيته لفنون الفضل والكمال)

ولم يكتف الشيخ الطبرسي بكتابه الضخم في التفسير (مجمع البيان) بل استمر بعطائه في مجال التأليف، وحين جاءه كتاب (الكشاف) أطلع عليه بعناية فاستحسن طريقته ثم شرع بتأليف تفسير آخر كان مختصراً شاملاً لفوائد تفسيره الأول، سماه (مختصر الكشاف) تلاه بكتاب جامع مكمل لرسائله الإيمانية باسم (جوامع الجامع في تفسير القرآن) (ولم تفسر ثالث أيضاً أصغر من الأولين سماه (الوجيز) وتصانيف أخرى في الفقه والكلام) (٥٤).

يبدي الكثير من الكتاب والمؤلفين إعجابهم الشديد بالشيخ الجليل الطبرسي ويبدون دهشتهم البالغة في

٥١ - قصص وخواطر، عبد العظيم البحراني ٢٦٣.

٥٢ - المنجد في اللغة والإعلام ٤٣٢.

٥٣ - مصفى المقال في علم الرجال، آغا بزرك.

٥٤ - المصدر نفسه.

مقدرته البالغة على التأليف رغم عمره المتقدم وصحته المتردية.
(الشيخ الإمام أمين الدين أبو علي الطبرسي ثقة فاضل دين، عين له تصانيف منها (مجمع البيان في تفسير القرآن).

الوسيط في التفسير، أربعة أجزاء

أعلام الوري بأعلام الهدى، جزأين.

تاريخ المواليد

الآداب الدينية للخزانة المعينية

غنية العابد ومنية الزاهد

شاهدت مخطوطه بعيني وقرأت بعض الملاحظات عليه، كذا ذكره منتجب بن بابويه (٥٥).

يصفه الزركلي (أمين الدين أبو علي الفضل الطبرسي مفسر محقق لغوي شهير من أجلاء الإمامية، نسبة إلى طبرستان) (٥٦).

وذكره عمر كحالة (الفضل الطبرسي السبزواري الشيعي أبو علي أمين الدين أمين الإسلام، مفسر، مشارك في بعض العلوم له:

١ - حقائق الأمور في الأخبار

٢ - عدة السفر وعمدة الحضر (٥٧).

(إضافة إلى ما ذكر سابقاً)

وفاته

ومنذ خروجه من القبر سالماً بأمر الله القدير، لم يعرف الشيخ الطبرسي الراحة، ولم يتوقف عند حد، ومضى باحثاً منقّباً في الكتب والمراجع مؤلفاً دارساً ومدرساً، وبسبب حاجته الماسة للمراجع المهمة، ولضرورة الاتصال الدائم بالعلماء وذوي الخبرة في الفقه والتفسير سكن مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) ثم انتقل إلى سبزواري في (٥٢٣ هـ) طلباً للعلم، ومنها إلى خراسان للغاية ذاتها.

وفي ١٩ ذي الحجة سنة (٥٤٨ هـ) استشهد الشيخ الطبرسي على أثر هجوم شنه المتمردون على السلطان سنجر السلجوقي في خراسان.. كما في نقد الرجال.

(ونقل جثمانه إلى المشهد الرضوي، ودفن في مقبرة الشهداء بجوار مرقد الإمام الرضا (عليه السلام) وفي

الشارع الموسوم بشارع الطبرسي، وقبره مزار لحد اليوم) (٥٨)

٥٥ - طبقات أعلام الشيعة للأغا بزرك.

٥٦ - الإعلام للزركلي ١٤٨/٥.

٥٧ - معجم المؤلفين، عمر كحالة ٢/ ٦٢٢.

٥٨ - مكارم الأخلاق، محمد الحسين الأعلمي. المقدمة/٦.

ورثته

للشيخ الطبرسي صاحب (مجمع البيان في تفسير القرآن) الذي لا يزال حتى اليوم مرجعاً لكل طالب تفسير، أبناء أهمهم الحسن الملقب برضي الدين والمكنى بأبي نصر، من أكابر علماء الإمامية وأجلّاء هذه الطائفة وثقاتهم، صاحب كتاب (مكارم الأخلاق).
وحفيده هو (علي بن الحسن) كان من العلماء المؤلفين، وهو صاحب كتاب (مشكاة الأنوار) المطبوع في النجف الأشرف سنة ١٣٧٠ هـ (٥٩)

من قاموس الإمام الشيرازي

العدالة بين الشعار والواقع

أحمد البدوي

تري العدالة والمساواة والقسط متداولة في الكثير من لغات العالم، وفي الكثير من الدول لاسيما التي تدعي التحضر والرقى، ولكنها لا تتجاوز الشعارات الرثانة، تكتب بالخط العريض وتقام لها المظاهرات وتعقد لها المهرجانات الخطابية الحماسية فحسب.

المستعمرون وشبكة العدالة

إن المستعمرين هيمنوا على دول الأرض تحت شعارات العدالة والمساواة والكلمات الجوفاء من الروح الحقيقية لها.

العدالة: المصدر، والاستفادة، والتطبيق

العدالة يجب أن تؤخذ من قوانين السماء، ويلزم أن نستفيد منها من الوحي والتنزيل، ويطبقها أنبياء وأوصياء، أمناء عليها، علماء بها، حكماء في تطبيقها.

غاية الأديان

إن الرسائل السماوية أنزلت وتأيدت بالكتب والمعجزات والرسل الربانيين من أجل تحقيق معنى هذه الكلمة (العدالة) وتطبيق حقيقة هذا الشعار الاجتماعي العام.

أبرز سمة للإسلام

من السمات البارزة للإسلام، والخطوط العريضة التي وضعها للرفاه والسعادة هي (العدالة) و(المساواة) اللتان يتحلّى بهما هذا الدين، في كل جانب من جوانبه، وناحية من نواحيه. ناحية السلطة والقضاء.. والعائلة والأسرة.. والمعاملة والمعاشرة.. وأخيراً المجتمع كله.

العدل التكويني

بالعدل جعلت الكواكب، وخلقت الأقمار، واختلف الليل والنهار وبالعدل جرت الأنهار وعذبت.. وركدت البحار وملحت.. وبالعدل يحس الحيوان ويدرك مطالبه ومقوماته. وبالعدل يبصر الإنسان ويسمع ويشم ويتذوق،

ويلمس ويدرك ويعلم ويشعر، ويجوع ويعطش.

إذاً بالعدل قامت السماوات والأرضون.. والمقاييس الدقيقة، والمقادير العادلة وتجري الأكوان لمستقر لها، ذلك تقدير العزيز العليم - إشارة إلى الآية الكريمة من سورة يس: ٣٨ - (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) حتى أن كل حبة من حبات الرمال، وكل جرثومة من جراثيم الحياة، وكل خلية من خلايا الأشجار.. وهكذا جعلت في المحل اللائق بها، والمكان المناسب لها.

الملازمة بين التكويني والتشريعي عدلاً

إذا كان الإسلام ينظر إلى الكون هذه النظرة، ويؤمن بالعدل في كل شيء (من الكون).. فمن البديهي أن يقرر القوانين العادلة، وينظم الأنظمة المستقيمة، للسير بالكون إلى الإمام، إلى ... الازدهار به، حتى أن كل منهج من مناهجه، وكل حكم من أحكامه.. سياسية كانت، أم اجتماعية، أم قضائية، أم اقتصادية، أم نفسية، أم مادية .. أول ما يلاحظ فيها العدل.

من أجل العدل

الاجتماع الرصين، والسياسة الراشدة، والقضاء العادل، والاقتصاد المتكامل، والنفس المستقيمة.. هو هدف الإسلام الذي يتوخاه، جعل الأنظمة، وسن الدساتير.. وعلى هذه النظرة العامة يضرب الإسلام بيد من حديد، على كل من يمزق العدل، ويبغي الانحراف عن سنة الكون.

في كل شيء

الخطوط العامة للعدل، التي يذكرها الإسلام، لا يقصد بها الإسلام أمراً معيناً أو أموراً، بل المقصود منها العدل في كل شيء.

العدل في الزواج والطلاق

العدل في تربية الأولاد

العدل في صلة الأرحام

العدل في معاشرة الناس

العدل في السلطة والقضاء

العدل في العبادة والطاعة.

وبالجملة: العدل في كل حركة وسكون، وانتلاف وافتراق، وقصد وعمل.

العدل ليس مساواة

ليست المساواة في نظر الإسلام بالمعنى الذي يحلو لبعض الناس التشدق به، في توزيع الثروات.. واستواء

الأفراد، مهما اختلفوا في العمل والعلم وسائر المميزات أمام القانون.
إنه الجور الواضح، فكيف يُساوى بين العالم القدير الذي تشعّ من أنوار علمه المدن والأرياف، وبين الجاهل الذي لا يساهم في ترقية الحياة شيئاً؟ وهكذا...
إذاً، المساواة في نظر الإسلام مساواة عادلة، لا مساواة عمياء... مساواة تراعي الحقوق المانزة.. فهي مساواة في جهة التساوي وتمايز في جهة الاختلاف، فلا تمايز بلا مبرر، ولا تساوي في غير استواء، وعلى هذه القاعدة قسم الإسلام الحقوق والواجبات.

عدالة الزواج والطلاق

لقد اهتم الإسلام بالعدالة التامة في هاتين الناحيتين، حتى أن لحاظ الأوامر الصادرة لضمان العائلة يكفي لدرك المدى البعيد الذي نظر إليه الإسلام لتأمين العدالة في الزواج والعشرة والطلاق.

الكفاءة

يدقق الإسلام في لحاظ العدالة في جميع شؤون الزواج.. فيشترط الكفاءة بين الزوجين بادئ ذي بدء.

عدالة التزّين

يذهب الإسلام شوطاً أبعد، فيندب على الرجل الزينة للزوجة كما يندب عليها الزينة للزوج، وذلك عدالة في الأمر، وتحصناً على النساء حتى أنه يرفع - في الجملة - لوم عدم عفة النساء على الرجال الذين لا يتزوّنون لهن.

عدالة الطلاق

أباح الإسلام الطلاق، لتجنب الوقوع في الكثير من المحرمات في حالات كثيرة، وقد جرى في ذلك على حسب خطوط العدالة العامة، فإن المنع عن الطلاق معناه تأكيد كثير من الأزواج، إذاً كثيراً ما تكون العشرة مستحيلة، وينقلب البيت جحيماً لا يطاق.

العدالة في التفضيل

قد بلغ عدل الإسلام ومساواته، أنه كره تفضيل الأولاد على بعض بغير مبرر.

العدالة الوضعية والسماوية

إن الكتب المنسوبة إلى الوحي، من العهدين (التوراة والإنجيل) وغيرهما موجودة، والقوانين الوضعية ولائد أدمغة قادة الدول..! في متناول الأيدي.

فهل فيها ما يضاهي عشر معشار ما في الشريعة الإسلامية من قوانين إنسانية، ودساتير عادلة، ومناهج صحيحة، وأنظمة عطوفة؟

مع الناس

إن الإسلام ضرب الرقم القياسي في تقرير العدالة مع الناس، قريبتهم وبعيدهم، صديقهم وعدوهم، فقد جعل عشرة الناس بالحسنى دعامة الحياة السعيدة في الدنيا، والفوز والزلفى في الآخرة.

العدل: صغيره أو كبيره

حتى في الصغائر التي لا تقيم القوانين والمبادئ لها أية قيمة (يكون العدل)، كما في النظر إلى الجالسين، وإليك هذا الحديث بما يكشف عن مدى اهتمام الإسلام بالعدل في كل صغيرة وكبيرة. روى جميل بن دراج عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) أنه قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقسم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسوية!

مناهج العشرة والعدل

لقد نظم الإسلام مناهج العشرة تنظيمًا دقيقًا، حتى ينتشر في جميع جوانبها العدل والفضل، فقرر مناهج اللسان، ودساتير للعين، وأنظمة للأذن، وقوانين للمس، وأحكاماً للجسد عامة.

ثم بيّن كيفية معايشة الجار، والصاحب، والصديق، والغني، والفقير، والحر، والعبد، والعالم، والمتعلم، والحاكم والمحكوم، والتاجر، والزارع.

وفي كل ذلك يبين الطريقة العادلة التي ينبغي السير عليها إشاعة للعدل، واجتنائاً لأصول الظلم والعدوان.

مقالات

العالم الإسلامي بين خصائص العولمة وأبعادها الخطيرة

علي البغدادي

يواجه عالمنا الإسلامي تحدٍ واسع الانتشار يستدعي تغييراً جذرياً في نمط المواجهة الجديدة وبكل أنواعها بما يؤكد أو يشير إلى مرحلة جديدة من مراحل الصراع للفصل في معادلة الارتباط بين المنهج والسلوك ليصبح مبرراً أيديولوجياً معبراً عن ماهية العقل الغربي لفرض رؤيته الخاصة في الهيمنة وإخضاع دول العالم الأخرى لقواعد مصالحه المستبدة خصوصاً في منطقة الشرق الأوسط.

في معنى العولمة

تنسب هذه الكلمة إلى العالم ولهذا فهي توصف بأنها شيء أو نظام جديد يراد به توحيد العالم في إطار جديد واحد ومن هنا أطلق عليها البعض (النظام العالمي الجديد) ومع أن عبارة النظام العالمي الجديد توحى بل وتشير إلى النظام السياسي بشكل خاص إلا أنها في التسمية الحديثة تشمل السياسة والاقتصاد والثقافة والاجتماع والتربية والأعراف والتقاليد وغير ذلك بل أنها تتجاوز ذلك كله إلى الحدود السياسية والجغرافية بين الدول حتى أنه قيل أن العولمة ستجعل العالم يعيش عصر (القرية الكونية) الموعودة.

وبهذا يمكننا تعريف العولمة بأنها: نظام عالمي جديد يقوم على العقل الإلكتروني والثورة المعلوماتية القائمة على المعلومات والإبداع التقني غير المحدود دون اعتبار للأنظمة والحضارات والثقافات والقيم والحدود الجغرافية والسياسية القائمة في العالم.

الدوافع والمبررات

إن البشرية تشرف على دخول القرن الواحد والعشرين وتحمل معها نجاحات عظيمة وإخفاقات ومشكلات واسعة. وهذه الصورة المعقدة والمتراصة تعبر عن التناقض الحاد الذي يتسم به عالمنا اليوم، إذ نعيش عالماً حقق مكاسب جبارة في التقدم العلمي التكنولوجي وثورة الاتصالات والمعلومات والميل إلى إقامة التكتلات الاقتصادية العملاقة، وفي المقابل تتزايد حالات الفقر المدقع وانتشار الأمراض واتساع دائرة الحروب الإقليمية والمحلية والتفكك في العلاقات بين الدول، وقد أشارت آخر الإحصائيات إلى أن هناك (٨٠٠) مليون جائع وواحد ونصف مليار من البشر بدون علاج مع أن الدخل لدى الشعوب الفقيرة والتي تسمى شعوب الجنوب أقل بعشرين مرة من الدخل لدى الشعوب في مناطق الشمال.

في الوقت الذي تسعى فيه الشركات متعددة الجنسيات لنسف مرتكزات الموارد الأساسية للحصص النفطية للشعوب باستنزاف حصص هائلة من الدخل القومي لعشرات من البلدان الفقيرة وإضعاف قدراتها الإنتاجية،

ناهيك عن السعي لنفي الأطر الثقافية والحضارية لهذه البلدان لتوجيه حالات الانفراد الغربي في مساحات انتشاره وهيمنته وعلى كافة المستويات.

وقد تزايدت الآثار الملموسة لثورة المعلومات والاتصال وانعكست في شيوخ ظواهر شتى ببعديها الإيجابي والسلبي وانعكس كل ذلك على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية لعالمنا المعاصر. وتشير هذه التطورات وغيرها جملة من الأسئلة المتعلقة بأبعاد ظاهرة العولمة وآثارها واحتمالاتها المستقبلية والمواقف منها وانعكاساتها على واقع بلادنا عبر ما تسعى إليه ستراتيكية التغطية البرمجية لعالمية ضمن تقنياتها الحديثة الشمولية والتفاعلية.

العولمة والتحدي

لقد شغلت هذه المواضيع شعوب العالم بأسره بالإضافة إلى مؤسسات البحث العلمي ومراكز التحليل لاحتواء عقول المفكرين والمختصين وعقدت الندوات وأعدت الدراسات والبحوث والآلاف من المقالات في أبعادها واختلفوا في الآثار المترتبة على الميول المتزايدة التي أفرزتها والنتائج المحتملة لها في المنظور القريب... وأبرز ما يلاحظ على هذا الصعيد التباين والاختلاف الشديدين في تحليل ظاهرة العولمة وأبعادها المختلفة وآثارها الراهنة واللاحقة إضافة إلى ما يثار من أسئلة هامة تتعلق بالروى المستقبلية للعالم في ظل المتغيرات الدولية.

إن تناول موضوع العولمة ليس ترفاً فكرياً وإنما حاجة فكرية سياسية لمواكبة ما يجري في العالم من تغيرات وتطورات على جميع الصعد، ومعرفة مدى تأثيرها على مستقبل شعوبنا. وإن قضيتنا في حقيقة الأمر، هي واحدة من مظاهر تجلي العولمة على صعيد الوضع السياسي الحالي، وقد أثيرت العديد من الأسئلة والنقاشات حول ظاهرة العولمة ما بين العوامل الدولية (الخارجية) والمحلية (الداخلية) ودور التدويل والتدخل على أساس المؤثرات والتفاعلات المحتملة والحاصلة على مستوى القواسم المشتركة لمكوناتها.

العولمة.. أبعادها ومستويات تحققها

تظهر العولمة كمفهوم في العلوم الاجتماعية الجارية كأداة تحليلية لوصف عمليات التغيير في مجالات مختلفة. وهي عملية متواصلة يمكن ملاحظتها باستخدام مؤشرات كمية وكيفية في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة والاتصال. وهناك إجماع بين المختصين والمراقبين للوضع الدولي على أن العمليات السياسية والأحداث والأنشطة في عالم اليوم لها بعد عالمي كوني متزايد بما يحقق بعدها الموضوعي وبهذا يصعب تحديد تعريف دقيق وشامل لهذه الظاهرة.

يقول المفكر جيمس روزناو الأمريكي: (يبدو مبكراً موضوع تعريف كامل وجاهز يلائم التنوع الضخم لهذه الظواهر المتعددة حيث يقيم مفهوم العولمة بأنه علاقة بين مستويات متعددة للتحليل: الاقتصاد، السياسة الثقافية الأيديولوجية). أي أنه يدعو إلى ضرورة تحديد المشكلة أو المشكلات المرتبطة بهذا المفهوم ويمكن وفقاً لهذا التحليل تحديد ثلاثة عمليات أو مستويات تكشف عن جوهر هذه الظاهرة وهي:

- ١ - انتشار المعلومات بحيث تصبح مشاعة لكل الناس.
 - ٢ - إلغاء الحدود بين الدول وانتشار عولمة الإنتاج والتبادل.
 - ٣ - زيادة معدلات التبادل بين الدولة وانتشار عولمة الإنتاج والتبادل.
- ويقول كذلك: (إنه رغم ذلك فالظاهرة غير مكتملة الملامح وهي عملية مستمرة تكشف كل يوم عن بعد جديد من مساراتها المتعددة). ويرى كذلك أن جوهر عملية العولمة يتمثل في سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني. ويقسم المواد والنشاطات إلى ست:
- أول هذه النشاطات هي البضائع والخدمات، وثاني النشاطات الأفراد، ثم الأفكار والمعلومات وكذلك النقود، ثم المؤسسات، وأخيراً أشكال من السلوك والتطبيقات.
- ويذهب مفكر آخر في تعريف العولمة على أنها حقبة من التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ وهي وصول نمط الإنتاج الرأسمالي إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتوزيع والسوق والتداول إلى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة الإنتاج.
- أما الدكتور محمد عابد الجابري فيقول: (إنها (العولمة) ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي بل هي أيضاً وبالدرجة الأولى أيديولوجيا تعكس إرادة الهيمنة على العالم. فالعولمة إذن هي ما بعد الاستعمار).
- أما الدكتور س. جومو والذي يشغل مركز رئيس رابطة العلوم الاجتماعية الماليزية فيقول: إن حركة العولمة من أهم الحركات التي تسهل الحوار بين الحضارات وتسهل العثور على الأرضية المشتركة للمبادئ الإنسانية.
- بينما يرى المفكر شريف حتاتة: (إن العولمة هي نتاج ارتباط مراكز رأس المال في العالم بعضها ببعض وتحالفها معاً ضد الفقراء والمستضعفين).
- ويؤكد الإمام السيد الشيرازي (دام ظله) في كتابه ثلاثة مليارات من الكتب على أهمية الرد على الاعتداءات الفكرية من خلال تحقيق ظاهرة الانتشار بمختلف أنواعها في خطوة للرد الإسلامي لهذه الظاهرة وغيرها بما يضمن التحصن الذاتي للوقوف بوجهها.

العولمة والبعد السياسي

أما ما يقوله السياسيون عن مقولة العولمة يعتمد على تحليل البعد السياسي لهذه الظاهرة الخطيرة على صعيد المكون الجوهري لها. حيث يقول سياسي أمريكي المناهض لظاهرة التمييز العنصري: (إن العولمة التي أصبحت تتردد كثيراً في هذا العصر ما هي إلا مصطلح جديد يصف الشكل الجديد والمحتوى الجديد للإمبريالية). حتى أن المؤسسات التي نشأت بموجب نظام العولمة تختلف في شكلها عن الشركات الاحتكارية الأخرى وهي بالنسبة لهياكلها وسياساتها وطبيعة أعمالها فإنها أيضاً مختلفة، وقد قامت هذه الشركات بتطوير استراتيجيات تجديد تتناسب وهياكلها الجديدة وعملياتها الجديدة. ويخلص إلى القول: إن العولمة تعني تعميم الاحتكار وتخصيص العالم).

أما الدكتور إسماعيل صبري وهو وزير سابق في مصر فهو يستخدم مصطلح الكوكبة بدلاً من العولمة فيقول: إن التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة والثقافة والسلوك دون اعتداد يذكر بالحدود

السياسية للدولة ذات السيادة أو انتماء لوطن محدد أو لدولة معينة ودون حاجة إلى إجراءات حكومية. بينما يرى السياسي جان شوفنمان: إن العولمة بحد ذاتها لا تخيفنا بل على العكس. إذ أن أنظمة الاتصالات المتعددة والنمو الانفجاري للمعلومات وتكاثر شبكات الاتصال والنقل، ينبغي أن تكون نعمة إلى الشعوب وليس نقمة ويجب أن تسمح العولمة بحشد الجهود المشتركة من أجل مجابهة المصاعب والتغلب على اللامساواة والتخلف أو تقود إلى البحث عن تطور اقتصادي واجتماعي لجميع الشعوب قائم على التعاون والتضامن. ومثل هذه العولمة القائمة على التعاون بين الشعوب، ليست تلك التي يسعى من أجلها عالم رأس المال والأعمال والتي تعمل الأسواق المالية والشركات فوق القومية على إرسائها والهيمنة عليها.

العولمة والبعد الاقتصادي

أما ما يقوله الاقتصاديون في ظاهرة العولمة، فقد كان من أبرز ما قيل بالنسبة للاقتصادي العالم هو ما قاله الدكتور رالف عميد كلية سانت انطوني في جامعة أكسفورد وعميد مدرسة لندن للاقتصاد حيث قال: إن العولمة لا تعني تماثل الثقافات الاقتصادية فلم تكن ثمة ثقافة اقتصادية واحدة فاليابان تختلف عن أميركا وألمانيا عن بريطانيا ويؤكد على أن الفوارق عظيمة وعميقة رغم صعوبة فهمها لكن السوق المتعولمة تتطلب بعض الخصال المشتركة من الجميع أي (المرونة). فالمرونة مطلوبة من اللاعبين في ميدان الاقتصاد تلك هي الصفة الأهم والمرونة تعني بديهيًا إزالة المواقف المتصلبة وإزالة قيود الدولة وتقليص تدخلها يساعدان عموماً على إشاعة المرونة وإلى ذلك يضيف البعض تخفيف عبء الضرائب على الشركات والأفراد وعلى نحو متزايد أصبحت المرونة تعني إرخاء القيود القائمة في سوق العمالة لتسهيل توظيف المشتغلين والاستغناء عنهم وتحريك أجورهم نحو الأعلى والأدنى.

وعلى العمال أن يتوقعوا تغيير أعمالهم ومشغليهم ومناطق عملهم. وتعني المرونة أيضاً استعداد الجميع لتقبل التغيير التكنولوجي وسرعة الاستجابة إليه. كذلك تعني المرونة في رأي الاقتصادي رالف دارندورف القدرة على الانتقال حيثما تتاح الفرص ومن ثم الانتقال مجدداً إذا زالت تلك الفرص.

العولمة والبعد الاجتماعي

أما ما يقوله أساتذة علم الاجتماع بخصوص ظاهرة العولمة أو ظاهرة الكوننة كما يحلو لبعضهم تسميتها فيقول الدكتور صالح ياسر حسن أستاذ علم الاجتماع: إن العولمة والكوننة تستخدم أساساً كمفهوم مفتاحي لوصف السياقات الأساسية للتحويل الراهن للنشاطات الاقتصادية على الصعيد العالمي غير أن هناك من يؤكد على أن العولمة ليست ظاهرة اقتصادية فقط بل أنها حقيقة مركبة تتعلق بالتحويل الحاصل في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، إنها ظاهرة كونية تعني انتقال المجتمع العالمي ككل إلى مرحلة جديدة نوعية ويتعين على العلم أن يصفها.

بعد الإشارة لما قاله أساتذة الاجتماع والاقتصاد والسياسة يتضح لنا أن النموذج المعرفي الذي نعتمد عليه لرسم خريطة معرفية للعولمة ثلاثي الأبعاد. البعد الأول دراسة دقيقة لتعريفات العولمة التي يشيع استخدامها

لدى الباحثين العلميين ولدى الساسة في الوقت نفسه والبعد الثاني يتعلق بالأطروحات الأساسية التي صيغت بناءً على هذه التعريفات والبعد الثالث والأخير يتعلق بمجالات السياسة المختلفة التي تظهر فيها الخطابات المتصارعة حول العولمة قبولاً أو رفضاً.

وإذا أردنا أن نركز اليوم على البعد الأول الخاص بتعريفات العولمة المتعددة فعلينا أولاً أن نلفتت لما يذهب إليه أنصار العولمة من أن هناك تغيرات كمية وكيفية تحدث في العلاقة بين النشاط الاقتصادي في مجالات الأسواق الكونية، والنشاط السياسي في مجال العلاقات بين الدول.

ولكي نضمن التحليل الأمكن لهذه الظاهرة لا بد من الاعتماد على تحليل نمطين من أنماط فهم الظاهرة. الأول على صعيد النتائج والعمليات التي لا تعوقها الحدود الإقليمية للدول وهذه بدورها تدفع إلى انتشار ممارسات عبر الحدود في المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية.

أما النمط الثاني في فهمها فإنه يركز عليها باعتبارها خطاباً للمعرفة السياسية يقدم وجهات نظر حول إمكان السيطرة على العالم. وفي هذا المجال فإن كثيرين من صناع السياسة يرون أن العولمة تشكل واقعاً جديداً من شأنه أن يجعل اللغة الخاصة بالتركيز على الدولة باعتبارها محور العالم لغة قديمة ومن ثم يعتبرون العولمة بمسلماتها الكامنة هي التي تحدد ما هو الممكن وما هي الموضوعات التي يمكن التفكير فيها واتخاذ قرارات بصدها.

وهذا له علاقة بما أورده لنا أساتذة التاريخ الذين اعتبروا العولمة عبارة عن حقبة تاريخية محددة من التاريخ أكثر منها ظاهرة اجتماعية أو إطاراً نظرياً وهي في نظرهم تبدأ بشكل عام منذ بداية ما عرف بسياسة الوفاق التي سادت في الستينيات بين القطبين المتصارعين في النظام الدولي آنذاك ونعني بهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي إلى أن انتهى الصراع الذي يرمز له انهيار حائط برلين الشهير ونهاية الحرب الباردة وهذا التعريف يقوم على الزمن باعتباره العنصر الحاسم وعلى ذلك فالعولمة في نظر أصحاب هذا الرأي هي المرحلة التي تعقب الحرب الباردة من الناحية التاريخية.

ومصطلح العولمة مثله في ذلك مثل مصطلح الحرب الباردة الذي سبقه يؤدي دوره كحد زمني لوصف سياق تحدث فيه الأحداث. كأن يقال مثلاً: نحن نعيش في عصر العولمة لتبرير أو فهم سياسات معينة اقتصادية أو سياسية أو ثقافية. وهي وفق هذا التعريف يمكن اعتبارها حقبة تاريخية بالمعنى الذي سبق أن وصفت به الفاشية باعتبارها حقبة تاريخية أكثر منها نظاماً سياسياً أو كما يشار إلى مرحلة الكساد باعتبارها ظاهرة متميزة في الابتلاء.

وقد أشار آية الله العظمى الإمام السيد الشيرازي (دام ظله) في كتابه كيف يمكن نجاة الغرب في قوله: (لا شك أن الإنسان يعاني من المشاكل منذ أن خلق الله العالم وإلى اليوم وستبقى معاناته إلا ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) إلا أنه من غير شك أصبحت مشكلة الإنسان بسبب النظام الغربي أكثر وأكثر)(٦٠).

٦٠ - ثلاثة مليارات من الكتب - الإمام آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله) ص ٢٤
الرد على الاعتداءات الفكرية بيروت لبنان ١٩٩٨ ط الأولى.

النظرة الإسلامية لعالم اليوم

لقد وضع الإسلام منذ دعوته الأولى أسس العالمية، فكان هذا الدين النموذج الأول في الطرح العالمي، واليوم وبعد هذه التحولات في عالم اليوم شخص علماء الأمة هذه الظاهرة وأعطوها الاهتمام المطلوب.

فيقول السيد الإمام الشيرازي (دام ظله): لقد كثر المسلمون في بلاد الغرب سواء من أسلم من أهالي تلك البلاد أو من هاجر إليها من بلاد المسلمين قهراً أو اختياراً ويمكن الاستفادة من هؤلاء لنجاة الغرب، ففي أمريكا عشرة ملايين مسلم وفي الغرب بمجموعه ثلاثون مليوناً من المسلمين وهذا عدد كبير ومنهم مختلف المستويات والثقافات فإذا توفرت شروط عملهم في هذا الاتجاه أمكن الوصول إلى نتائج مذهلة غير مضمونة والحال أن الإسلام في أصوله وفروعه مطابق للعقل والفطرة مما تقبله كل فطرة بدون موانع (٦١).

٦١ - كيف يمكن نجاة الغرب، الإمام آية الله العظمى السيد الشيرازي (دام ظله)، بيروت لبنان، ط الأولى ١٩٩٩ ص ١٦.

مقالات

في معنى الحضارة والمفهوم المكون لها

محمد ثابت

إن مفردة الحضارة تستمد معانيها من طبيعة القيم والمعاني وما تشكله في مضمار العلوم والآداب والمعرفة وبالتالي فهي لغة النشاط المثمر لأية أمة من الأمم وأي شعب من الشعوب وبالتالي فهي ثمرة كل جهد تقوم به المجتمعات لتحسين ظروفها الحياتية سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة على المستوى المادي والمعنوي. وهذا المفهوم للحضارة مرتبط أشد الارتباط بالتاريخ، إذ يقول شبنجلر بأن التاريخ عبارة عن مجموعة من الحضارات وكون التاريخ عبارة عن النسبة الحاصلة بين مقياس الزمن والإنتاج.

الحضارة الإسلامية ... آراء ومفاهيم

حينما نستعرض جملة تعاريف للحضارة وتفسير علماء الاجتماع فإن الحقيقة تشير إلى أن كل تعريف للحضارة لا يشمل تعريف الحضارة الإسلامية ولا ينطبق عليها، لأنها الحضارة الوحيدة التي صنعت بإرادة الله سبحانه وتعالى، فأوحى بكل معطياتها إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، ولما كان جوهر الحضارة الإسلامية هو الإسلام وجوهر الإسلام هو التوحيد، لذلك فقد ضمن الخالق جلت قدرته حفظ الحضارة الإنسانية على الأرض حتى يوم الحساب مصداقاً لقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) (سورة الحجر: ٩).

ومن هنا يأتي اختلاف مفهوم الحضارة الإسلامية جوهرًا ومعنى عن مفهوم الحضارات الإنسانية الأخرى. يقول أرنولد توينبي في تعريفه للحضارة: إن الحضارة هي ثمرة تحدي الإنسان لبينته ونوع استجابته لها.. ويقول آخر وهو ديورانت: إن الحضارة هي نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي. أما العالم الإنكليزي تيولر فيقول: إن الحضارة هي ذلك الكيان المعقد الذي يضم المعرفة والمعتقدات والفنون والآداب والقوانين والعادات وجميع القدرات والتقاليد الأخرى التي يكتسبها الإنسان بصفته عضواً في المجتمع. أما فيما يخص تعاريف الحضارة الإسلامية فيقول الدكتور علي حسن الخربوطلي: إن الحضارة الإسلامية هي ما وضعه الإسلام من أسس للعقيدة والأخلاق ونظم الحياة الفردية والجماعية وما أنتجته البينات الإسلامية من أدب وفن وفلسفة، وما وصل إليه علماء تلك البينات من نظريات وما أبدعوه من مخترعات. ويقول أحد الباحثين إن الحضارة الإسلامية هي تفاعل الأنشطة الإنسانية للجماعة الموحدة للخلافة في الأرض عبر الزمن وضمن المفاهيم الإسلامية عن الحياة والكون...

أما أبو الأعلى المودودي فيقول: الحضارة الإسلامية هي مجموعة المناهج والقوانين التي قررها الله سبحانه وتعالى لكل هذه الشؤون المختلفة لحياة الإنسان وهي المعبر عنها بكلمة الإسلام.

مفردة الحضارة والعقل المكون

عندما تتقدم أو ترتقي أمة من الأمم في المستوى المعرفي والأدبي والعلمي لا بد أن تتمثل أو تتجلى حضارتها بوجوه عدة تعكس صوراً لمجمل أدوارها وأنشطتها الإنسانية في الحياة، ولعل أبرز تلك الوجوه ما يأتي:

أولاً: التقدم، ويعني في دلالاته اللغوية، السبق أو السير إلى أمم وتحقيق درجة طيبة من النجاح في عمل من الأعمال أو مضمار من مضامير الحياة، ونقيض التقدم التخلف أو التراجع كما يعني أيضاً الفشل وبذلك المفهوم الحضاري لهذا المصطلح يعني قطع مرحلة معقولة في طريق البعد عن الحياة البدائية التي كانت تعيشها الإنسانية في مراحلها المبكرة.

وثاني تلك الوجوه التي تعكس صور الأنشطة الإنسانية هو النهضة ولمدلولها مفهومان: المفهوم الأوروبي الذي يقول بحركة إيجاد الفنون والآداب، وما خلفته الحضارتان القديمةتان اليونانية والرومانية. وتطور هذا المفهوم فيما بعد ليشمل مجمل التغييرات التي طرأت على الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والفكرية والفنية.

أما المفهوم الثاني فهو المفهوم الإسلامي الذي يقول: بأن النهضة هي حركة الترجمة ونقل التراث الذي خلفته الحضارات القديمة إلى اللغة العربية وهي الفترة التي بدأت من الربع الأخير من القرن الثاني الهجري وبلغت ذروتها في الربع الأول من القرن الثالث الهجري.

أما ثالث أوجه الحضارة فإنه يتجلى في الثقافة، حيث يقول المستشرق ديورانت في تعريفه للثقافة بأنها النظام الاجتماعي والتشريعي والخلقي والنشاط الثقافي، أما الدكتور أحمد شلبي فقد عرفها بقوله أن الثقافة هي الرقي في الأفكار النظرية مثل الرقي في القانون والسياسة والسلوك والإحاطة بقضايا التاريخ المهمة، والثقافة هي حصيلة الحياة الإنسانية في كافة المجالات.

ورابع أوجه الحضارة يتجلى في المدنية التي تعني الرقي في العلوم العملية التجريبية كالطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والزراعة والصناعة والاختراع الآلي والتي يفعل فيها العقل فعله إلى حد كبير. وبهذا فإن العقل يمثل وحدة النشاط الذي يقوم به أهم عضو في كيان الإنسان وهو المخ، وهذا فرق بين المخ والعقل، فالمخ عضو يشترك فيه الإنسان مع بقية الحيوانات والطيور والأسماك ولكن مخ الإنسان أكبر من المخ عند غيره من الحيوان وأكثر تعقيداً وخلاياه أكثر تنوعاً وقد احتاج الإنسان إلى عشرات الألوف من السنين ليصقل ذهنه وترهف ملكاته ويصبح قادراً على تعقل الأشياء وإدراكها، أي ربط بعضها ببعض، وكذلك ملاحظة الأشياء والظواهر واختزان نتائج هذه الملاحظات. وعندما تنبه الإنسان إلى أن له عقلاً أي قدرة على إدراك الأشياء وفهمها والربط بين الظواهر بعضها ببعض خطا الخطوة الأولى في طريق الحضارة.

من هنا ينطلق بعض العلماء في القول: (إن العقل نفسه أول مخترعات الإنسان).

ومن الواضح أن قدرة الذهن على العقل أو عقل الأشياء كانت قليلة أول الأمر ثم ازدادت القدرة مع الاستعمال لأن للذهن عضلات تقوى وتتعدد قدراتها واستعمالاتها بالاستعمال والمران، شأنه في ذلك شأن الذراع أو اليد، فعندما ترى طفلاً يحاول استخدام كفه وأصابعه في إمساك الأشياء والتصرف فيها فاعلم أن ذهنه أيضاً

يقوم بعمله على هذا النحو مع الضعف وقلة الضبط والإحكام، ومع الزمن تقوى اليد وتزداد حركتها إحكاماً، ويجري نفس التطور في الذهن وهذه الملاحظة في ذاتها تعطي فكرة عن العصور التي احتاج إليها الإنسان حتى يتنبّه إلى قدرات ذهنه وإمكانيات استخدامها ونحن نقتصر الطريق اليوم عندما نرسل أولادنا إلى المدارس ومن المعروف أن المراحل الأولى من التعليم لا يقصد من ورائها تلقين الطفل معلومات معينة بقدر ما نقصد تمرين ذهنه وتقويته ليصل إلى مرتبة الإدراك المنطقي والعقل المنظم ثم التفكير بطريقة سليمة.

آلية التعامل بين الغريزة والعقل

من الواضح أن التفكير، أي استخدام الذهن استخداماً منظماً، عملية حضارية احتاجت إلى زمن طويل حتى أصبح هذا التفكير عنصراً أساسياً وفعالاً في توجيه أعمال الإنسان وصنع الحضارة والعملية ما زالت مستمرة وما زلنا نشهد ونحس في أنفسنا مسألة الصراع بين الغريزة والعقل.

والغريزة بطبيعة الحال أقوى لأنها مركزة في الطبع في حين أن العقل مكتسب، وفي مستويات الحضارة الدنيا والعليا على السواء نلاحظ أن الغريزة تنجح في التغلب على العقل وتذليله لرغباتها كما نرى ذلك واضحاً في حالات الإجرام والعدوان على الناس والأموال والأعراض في حالة الأفراد، كما نرى في ظواهر سيطرة الغريزة على أعلى مستويات العقل وهو العلم في صناعة أدوات التدمير والتخريب أو في الهبوط بالإنسان إلى مستويات الإباحية والفوضى الخلقية في أرقى المجتمعات.

وإلى يومنا هذا لا تزال هناك قبائل في استراليا وغينيا الجديدة وغابات الأمازون لا يدخل العقل أو التفكير في تصرفاتها أفراداً وجماعات إلا بقدر محدود جداً، وما زالت أعمالها ردود أفعال غريزية لا أفعالاً معقولة. وليس معنى ذلك أنها ليست متحضرة أو عارية عن الحضارة بل معنى ذلك أنها متحضرة بالقدر الذي تستطيع أن تستخدم أذهانها.

إذن هناك عنصرين أساسيين من عناصر الحضارة وهما: الزمن أو التاريخ، والعقل أو التفكير، أما الإنسان فهو الكائن الوحيد الذي صنع الحضارة .

والإنسان وحدة إنتاجية واعية تختلف عن باقي الكائنات، بخصائص بدنية وعقلية متفاوتة على أساس القدرات التكوينية المختلفة والتي تشكل لغة القوة أو الضعف على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمع أساساً في سيرها وهذه القوة تحتاج إلى إرادة واعية يمكنها أن تترجم النشاط الإنساني المتميز ومن هذا المنطلق كانت الرواية الإسلامية لقيمة الإنسان وضرورة تفعيل دوره في الحياة وقد نبّه العلماء إلى نقطة على غاية من الأهمية في هذا المجال تتعلق بمدى إمكانية تحويل القوة المعنوية الإسلامية الكامنة في قلوب المسلمين إلى قوة فعلية وتسخيرها واستخدامها باتجاه المشاكل التي تواجه النهضة التي لا تختلف عن المشاكل التي استنزفت أمتنا الإسلامية منذ العهود السابقة والحضارة الإسلامية هي وجود متكامل بالفعل لأنها تمتلك كل مقومات هذه المفردة إلا أن التدهور الذي حصل للمسلمين أفقدهم ميزة التفوق التي كانت حصراً لحضارتهم قرون عديدة.

مقالات

التقاعد المبكر

تعطيل لقدرات الإنسان الفاعلة

حيدر البصري

ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...) (٦٢). من هذه الآية الكريمة تتبين لنا الوظيفة الهامة التي أوكّلها الله تعالى لبني البشر دون غيرهم من الملائكة والجن وهذه الوظيفة هي خلافة الله تعالى في الأرض. فوظيفة الإنسان على هذه الأرض تتجسد بالخلافة الإلهية.

ثم يأتي قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) (٦٣). ليبين لنا بوضوح المسيرة التي يجب أن يسير الإنسان على ضوئها خلال وجوده فوق هذه الأرض. وهذه المسيرة هي مسيرة تكاملية تعتمد على جهد الإنسان ونشاطه واهتمامه، أي إن الله أراد للإنسان أن لا يكون عمله جامداً - على كافة المستويات - بل يجب أن يتّصف العمل بالحركة والتطور ولو لم يكن السير تكاملياً لما وصل الإنسان إلى ما هو عليه من التقدم العلمي الهائل. وهذه المسيرة التكاملية هي ذاتها التي أشار إليها أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في قوله المشهور : (مَنْ تَسَاوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ، وَمَنْ كَانَ أَمْسُهُ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِهِ فَهُوَ مَلْعُونٌ). وهو يدلّ دلالة واضحة على المراد من السير التكاملي السابق الذكر. الخلاصة التي نستنتجها من الكلام المتقدم هي أن وظيفة الإنسان خلافة الله في الأرض، وطريقة سيره هي طريقة تكاملية، وكلما ازداد عطاؤه كلما ارتفعت منزلته والعكس بالعكس.

فالأيات الكريمة التي تشير إلى الوظيفة والطريقة المذكورتين، وكذلك السنة الشريفة. جاءت مطلقة عن أي قيد، فلم تحدد العطاء في فترة زمنية معينة يمرّ بها الإنسان دون غيرها، ولا في ظرف دون غيره، ولا عمر دون سواه.

وهذا يعني أن الإنسان هو مصدر عطاء وقدرة لا تتحدد بسن معينة، وإنما العطاء الإنساني مستمر حتى آخر لحظة من عمر الإنسان، ولكن مع ملاحظة أن الإنسان المعطي هو الإنسان الذي يعي مسؤوليته ودوره في الحياة، ويتحمل أعباءها، أما الإنسان الذي لا يعرف من الحياة سوى العيش البهيمي حيث ينظر إلى الحياة من منظار الشهوات البدنية فليس هو مورد حديثنا.

إن المقدمة السابقة ستساعدنا على فهم ما نرغب بتوضيحه في العناوين الآتية.

٦٢ - البقرة : الآية ٣٠.

٦٣ - الانشقاق : الآية ٦.

نظرة في قانون التقاعد

المعروف أن هناك قانوناً وضعياً يسمى (قانون الضمان الاجتماعي) أو قانون التقاعد. ومؤداه تحديد سن قانونية لمن يعمل في دوائر الدولة لا يتسنى للمرء عند بلوغه هذه السن الاستمرار في عمله. فتنهى خدماته إجباراً ليلزم البيت إزاء راتب تقاعدي كانت الدولة قد استقطعته من رواتبه السابقة.

إننا لا نختلف مع القانون الوضعي في مسألة الضمان الاجتماعي الذي يجب على الدولة تقديمه للفرد العاجز عن العطاء سواء أكان هذا العجز قهرياً - كما لو أقعد الإنسان إثر حادث بحيث لم يعد بمقدوره العمل - أم كان هذا العجز بسبب تقدم السن، بل نحن نعتبر أن هذا الضمان هو من أهم واجبات الدولة إزاء المواطن. ولكن نحن نختلف مع القانون الوضعي في تحديد السن التي يحكم من خلالها بالشلل الإجباري على الموظف الذي قد يكون قادراً على العطاء لمدة أطول بكثير من تلك التي حددها القانون قهراً لإيقافه عن العمل.

فكم من الموظفين لدى دوائر الدولة يتحسرون لبلوغهم هذه السن، ولا يألون جهداً في سبيل إقناع رؤسائهم بتمديد مدة بقائهم في عملهم، وذلك من منطلق قدرة أكثرهم على العطاء، لا بدافع النفع المادي. فالبعض من أولئك يكون مقدار راتبه التقاعدي بقدر آخر راتب شهري كان يتقاضاه، ولكنه مع ذلك يصبر على البقاء في عمله.

إن قانون التقاعد الإجباري يعد في حقيقته حكماً بالموت - أو الشلل - على الإنسان وفرض قيود عليه الإنسان تحول دون استمراره بالعطاء. وحيث إن هذا الإنسان لم يكن قد اعتاد عملاً غير عمله الذي قضى شطراً من عمره فيه حتى أجاده وأبدع فيه تجده - حين يحكم عليه بالتقاعد - أسير فراغه مما يزيد في تعاسته فيقضي أيامه في كآبة قد تعجل حتفه مبكراً.

إن من يقرأ هذه الكلمات - ولا أقصد الجميع - قد يذهب به ظنه إلى أننا ننكر قانون التقاعد بصورة مطلقة، وهو مالا سبيل له إلى تفكيرنا وفق منهجنا الإسلامي. فنحن لا ننكر قانون التقاعد، إنما نرفض التقاعد الإجباري، والسقف العمري الذي يوضع أمام من لم يزل قادراً على العطاء. وإلا فالضمان الاجتماعي - الذي يعد صورة من صور قانون التقاعد - والتقاعد الذي يُعطى لمن لم يعد قادراً على العطاء، فلا خلاف لدينا مع القوانين الوضعية في ذلك.

بعبارة أوضح إن الخلاف يتركز في تحديد العمر الذي يجب أن يتقاعد الإنسان فيه. فالإسلام جعله أمراً نسبياً ولم يحدد السن التي يجب على المرء خلالها العيش على هامش الحياة، بحيث لم يعد دوره إلا أخذ عطائه الذي يكفيه من بيت مال المسلمين. أما القانون الوضعي فقد حدد سناً للتقاعد بغض النظر عن كون من بلغها هل هو فاعل في وظيفته أم لا؟ وهذه هي نقطة الخلاف الجوهرية بينه وبين الدين الإسلامي.

موقف الدين الإسلامي من التقاعد

يعتبر الضمان الاجتماعي من الحقوق التي يتوجب على الدولة سن القوانين التي تنظمها. وبما أن الدين الإسلامي هو الدين الذي يعتبر القمة في مراعاته لحقوق الإنسان، كانت الأحكام الخاصة بحقوق الإنسان - عامة

- والمتعلقة بالضمان الاجتماعي تظهر جلية من بين أحكام هذا الدين. ولكن كل هذا مع مراعاة قدرة الإنسان وقابليته على العطاء. فلم تقف تلك الأحكام حائلاً بين الإنسان وقدرته على خدمة مجتمعه.

بناءً على ما تقدم يتبين لنا أن الدين الإسلامي كان قد اهتم بقضية الضمان ووجوب رعاية الدولة الإسلامية للإنسان إبان كبره وشيخوخته. بل أكثر من ذلك نجد الدين الإسلامي لا يكفل معيشة الفرد عند كبره بالنسبة للإنسان المسلم فقط، وإنما تعدى ذلك إلى غير المسلمين الذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية. وخير دليل على قولنا هذا تلك القصة التي ينقلها لنا التاريخ عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

فقد روي أن الإمام (عليه السلام) كان يطوف الشوارع يتفقد أحوال المسلمين فمرّ بنصراني كبير السن يستجدي الناس، فاستنكر أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك حيث قال ما مضمونه (استعملتموه حتى إذا أتبعتموه تركتموه يستكف الناس)! ثم أمر أمين بيت المال بتعيين عطاء لذلك الرجل النصراني.

لقد توزعت الروايات الخاصة في هذا المجال بين ذكر وجوب الضمان من بيت المال، وبين الحض على وجوب رعاية الكبير، وبين الإشارة إلى كيفية فسح المجال لكبار السن كي يوظفوا خبرتهم لخدمة المجتمع الإسلامي. ثم إن هناك وقائع يذكرها تاريخنا الإسلامي هي خير دليل على عدم وقوف الدين الإسلامي أمام قدرات الفرد على خدمة مجتمعه فيما لو أبدى هو رغبة في ذلك، بل علاوة على ذلك نجد تشجيعاً من جانب الدين الإسلامي على طرح الفرد قدراته واستثمار الدولة لتلك الإمكانيات المطروحة، وتهينة الجو المناسب لها.

البعض من العلماء كانوا قد استدلوا على وجوب طرح الإنسان كفاءته أمام الدولة فيما لو أحسن بقدرته لشغل منصب ما بالآية الكريمة التي تذكر خطاب يوسف (عليه السلام) للملك قائلاً : (اجعلني على خزان الأرض إني حفيظ عليم) (٦٤).

فهذا البعض اعتبر هذه الآية دليلاً على وجوب كشف الإنسان عن قابلياته، وفي مقابل ذلك يقع على الدولة الإسلامية واجب مراعاة تلك الكفاءة والقابلية والاستفادة منها. وهذا ما تكشفه لنا وقائع التاريخ الإسلامي. فقد نقل لنا التاريخ عن استخدام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) البعض ممن كفّ بصره في بعض معاركه وذلك حين كان ذلك البعض قد أظهر استعداداً للمشاركة في المعارك في بعض الأمور من قبيل حمل الراية.

إن هذا العاجز قد سقط عنه الجهاد والعمل، وتكفلت الدولة الإسلامية بتقديم العطاء له، ولكن الدولة لم تقف حائلاً بينه وبين قابلياته حين أراد توظيفها لخدمة المجتمع والدين، حيث منحه الدين الإسلامي تلك الفرصة.

وقد حدثنا التاريخ عن حالات مماثلة. فقد كان عمار (رضوان الله عليه) رجلاً طاعناً في السن قد اُحدوب ظهره، ومع ذلك اشترك مع أمير المؤمنين (عليهم السلام) في معركة (صفين) حيث كان ممن حملوا الرايات. وقد استشهد (رحمه الله) في هذه المعركة. وهكذا اشترك حبيب بن مظاهر الأسدي وزهير بن القين مع الإمام الحسين (عليه السلام) رغم كبر السن البالغ.

وقد يعترض البعض على إيراد وظيفة الحرب مثلاً ولم أذكر غيرهما. والجواب: إنما ذكرت وظيفة الحرب التي تقع على عاتق أبناء المجتمع الإسلامي القادرين على حمل السلاح، لكونها تتطلب جهداً وطاقة كبيرين من الناحية النفسية والجسدية، فيكون ذكرها أوضح للدلالة على ما نريد إثباته.

خلاصة القول : إن الدين الإسلامي في عين الوقت الذي كفل العطاء فيه لأبنائه بالضمان الاجتماعي، لم يقف حائلاً دون عطاء أبنائه فيما لو كانوا قادرين على ذلك وأبدوا الرغبة فيه.

رأي علمائنا

لا أحسب أن هناك من علماء المسلمين - بصورة عامة - من خاض في أمر كهذا، ولعل عدم التعرض له نابع من كون الدين الإسلامي هو دين الكدح والسعي، بغض النظر عن سن الإنسان المكلف. بالإضافة لمسألة هامة وهي عدم تربّع الدين الإسلامي على كرسي الحكم اللهم إلا بعض التجارب التي لا يمكن القطع بأن الدين الإسلامي هو الذي يحكم فيها حقاً. إلا أن الأمر الذي يجب لفت الأنظار نحوه أن علمائنا لم يدعوا فرصة مناسبة إلا وأشاروا إلى قضية كبار السن وخبرتهم، ووجوب الاستفادة منها. وهذا ما يلاحظ جلياً في كتب سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) فلا تكاد تخلو من الإشارة إلى موضوع المسنين في المجتمع الإسلامي وضرورة توقييرهم والاستفادة من تجاربهم وخبراتهم ونصائحهم.

ففي كتاب (الاجتماع) هناك بحث أشار إليه الإمام الشيرازي (دام ظله) بعنوان (توقير الشيوخ) جمع فيه عدداً من الروايات الخاصة بوجوب تعظيم الشيوخ واحترامهم. منها:

١- عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : ثلاثة لا يجهل حقهم إلا منافق معروف النفاق: ذو الشيبة في الإسلام، وحامل القرآن، والإمام العادل (٦٥).

إن الحديث المتقدم من الخطورة بمكان بحيث قرن حق الشيخ في الإسلام إلى جانب حق الإمام العادل وحامل القرآن ومن المعلوم أن هذا الحق لا يناله الإنسان لمجرد كبر سنه، فهذه سنة جارية في الكون يمرّ خلالها المسلم وغيره ولكن يبدو أن هذا الحق يكتسبه الإنسان بمقدار فاعليته في المجتمع.

٢- عن أبي عبد الله (عليه السلام) : من إجلال الله عز وجل إجلال المؤمن ذي الشيبة، ومن أكرم مؤمناً فبكراة الله بدأ، ومن استخفّ بمؤمن ذي شيبة أرسل الله إليه من يستخفّ به قبل موته (٦٦).

إن هذه الرواية فيها من الخطورة ما يفوق سابقتها، فإن كانت الأولى قد قرنت حق شيوخ الإسلام إلى جانب حق الإمام العادل وحامل القرآن - وهم متساوون مع الشيخ في كونهم بشراً - فإن الأخيرة قرنت حق الشيخ إلى جانب حق خالقه بل جعلت من حقه مقدمة لطاعة الله وإجلاله.

الاستفادة من الشيوخ ضمان حيويتهم

قلنا سابقاً إن جعل الإنسان على هامش الحياة يجعل اليأس يدب إلى نفسه، وشبح الموت والفناء يتسرّب إلى فكره فيكون في ذلك تعجيل لشل قدراته إن لم نقل تعجيل فنائه. لذا تجد الإنسان حريصاً كل الحرص على أن يكون عضواً فعالاً في المجتمع في أية مرحلة من مراحل حياته، اللهم إلا تلك الفئة من الناس التي تتصف بصفة

٦٥ - الاجتماع : الإمام الشيرازي ص ٢١٤.

٦٦ - نفس المصدر : ص ٢١٤.

الطفيليات.

فالإنسان يجد ذاته - واقعاً - في العمل وفي العطاء، فقيمة الإنسان بعمله وهذا ما تتفق عليه الأديان والأطروحات الأرضية معاً. ولكن ما هو السبيل الذي يمكن من خلاله انتشار هذه النخبة الخبيرة التي فرضت عليها القوانين الوضعية العيش على هامش الحياة في سن مبكرة يمكنها العطاء فيها؟ وكيف لنا أن نوظف خبرة هذه النخبة لخدمة المجتمع؟

إن الأمر بسيط على مستوى التنظير ولكن تذلل صعوبات الواقع مع تشمير سواعد الجد لتفتيت تلك الصعوبات التي لا أتصور أنها تكمن في غير الخطوات الإجرائية ليس إلا.

فعلى صعيد التعليم - مثلاً - تفيد الإحصائيات بأن (٥٠ %) من الأمية في العالم تتركز في أمتنا (إن لم نقل أكثر من ذلك). فبناءً على هذا لماذا لا يكون كبار السن - ممن شملهم قانون التقاعد - معلمين لهؤلاء الذين يعيشون في ظلمات الجهل؟!

ولماذا لا يستفاد من خبرات الحائزين على شهادات توهّلهم للبحث والكتابة والتحقيق في قضايا لم يكن الذين يخوضون فيها بأهل لها؟! وذلك من خلال إنشاء مراكز دراسات وبحوث خاصة بهذا الهدف!

المسلمون في العالم

تايلند ومظاهر التأثير الإسلامي

إعداد: محمد حسين

بعد أن تولد شعور عام نتيجة تجارب العقود الثلاثة الماضية بضرورة السعي الجاد لإيقاظ ما كان غافياً في ضمير العالم الإسلامي والتوجه لفتح السبيل للتمسك بعقيدة الإسلام ونهجه بعد أن أثبتت التجارب فشل المعسكر الغربي في تياراته الساعية إلى نشر روح التغريب واغرائته الماكرة فكان من أبرز معالم النهضة الإسلامية هو انتشار الإسلام في كثير من المناطق والمقاطعات والدول التي تأثرت وانضمت إلى ركب المنهج، وتايلند واحدة من هذه البقاع التي انتشر الإسلام فيها إذ دخل الإسلام إليها عن طريق التجار الهنود والعرب والماليزيين منذ أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر، واستوطنوا في جنوب البلاد، كما سبقه وصول المسلمين في أواخر القرن الثامن وبداية القرن العشرين عبر رحلات التجار والبحارة وكان أكثرهم من اليمن.

حيث يشكل المسلمون ثاني أكبر مجموعة سكانية بعد البوذيين، وليس هنالك إحصائيات دقيقة حول أعداد المسلمين في تلك الجزر، فالأرقام متضاربة، حيث أشارت مجلة الموسم في العدد (٣٥) أن العدد يبلغ مليوني نسمة، كما أن هناك إحصائية تقول أن عدد المسلمين يبلغ سبعة ملايين نسمة. أما مستشار وزير الخارجية التايلندي مهدي ديمانة فقد ذكر أن (عدد المسلمين في تايلند يتجاوز التسعة ملايين تقريباً وتبلغ نسبتهم حوالي ٨% من عدد السكان الإجمالي).

يتركز أغلب وجود المسلمين في جنوب البلاد في أربع ولايات هي: جالا، ترانوي، ساتون وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٨٠% وأكثرهم ينحدرون من أصول ماليزية إضافة إلى المهاجرين من الهند والباكستان وإيران واندونيسيا.

يعمل أغلبية المسلمين في تايلند في مجال الزراعة والتجارة، أما في الجنوب فيعمل الأغلبية بالزراعة. ويمثل في البرلمان التايلندي حوالي ١٦ نائباً يقومون بطرح القضايا التي تهم المسلمين.

موقف الحكومة التايلندية من المسلمين

كانت الحكومة التايلندية تعتبر المسلمين في تايلند أقلية بالرغم من أنهم يشكلون ثاني أكبر مجموعة سكانية بعد البوذيين، ويشكلون ٨٠% من عدد السكان المتواجدين في جنوب البلاد، المنطقة الأكثر استراتيجية لتايلند بالإضافة إلى أنها تمتلك الكنوز الطبيعية للبلد. وكانت هذه المناطق تعاني الفقر المدقع، ناهيك عن المعاملة القمعية للحكومة بحقهم حيث طبيعة الإجراءات التعسفية التي أصدرت قراراتها بمنع ارتداء الحجاب ونقل أعداد كبيرة من البوذيين إلى جنوب البلاد حيث مناطق التواجد الإسلامي ومراقبة الجمعيات وفرض أساتذة بوذيين للتدريس في المدارس الإسلامية.... الخ. كل هذا أدى إلى نقمة المسلمين وقيام البعض منهم في تأسيس جبهة

(بولو) عام ١٩٦٨ وكان ثوار هذه الجبهة من المناهضين ومن المتحمسين لنشر مبادئ الإسلام وخاصة في المناطق المجاورة.

وبهذه المجابهة أجبرت الدولة على تغيير سياستها وأصبح هناك حرية في إقامة الشعائر وبناء المساجد والاحتفال بالمناسبات الدينية، حيث يسمع صوت الأذان وترى بوضوح الحجاب الإسلامي الذي رفع الحظر عنه في عام ١٩٩٥، وانتشرت المطاعم والمحلات التي تبيع ما تم ذبحه على الطريقة الإسلامية. كما تشرف الحكومة التايلندية على الأمور المتعلقة بالحج والحجاج، وتتولى وزارة التربية والتعليم هذا الجانب الذي توليه كل الاهتمام حيث توجد لجنة خاصة تضم كبار الشخصيات الإسلامية بتايلند مثل وزير التربية والتعليم ووزير الخارجية إضافة إلى مهمات الإدارة المركزية لإرشاد الحجاج وتعريفهم بأمور دينهم من خلال المحاضرات والكتب.

المساجد والمراكز الإسلامية

يوجد العديد من المراكز الإسلامية في تايلند بما يقارب العشرين مركزاً تقريباً، ويوجد أكثر من (٢٠٠) مسجد معظمها في الجنوب، يدرس في هذه المراكز القرآن، واللغة العربية، وفقه السنة، والحديث النبوي، وأساتذتهم متخرجون من الجامعات الإسلامية كجامعة الأزهر، وجامعة المدينة المنورة، والجامعات الماليزية الإسلامية. كما أن بعض الأساتذة هم من مصر والعربية السعودية وماليزيا. وتعتبر مدينة يالا من المدن الرئيسية في الجنوب التايلندي حيث يحرص المسلمون على تعليم أبنائهم أصول الدين وعلومه المختلفة بالإضافة إلى المدارس والمعاهد الإسلامية الأخرى: معهد النهضة العربية:

وهو مركز مستقل عن الدولة وأغلب أساتذته من خريجي جامعات الدول العربية ويحسنون التحدث بالعربية. المدرسة المحمدية الدينية:

تأسست هذه المدرسة قبل ٣٣ سنة تقريباً، ولما كان موقع هذه المدرسة في جوار ماليزيا فإن التلاميذ يتزوّون بزّي الماليزيين ويتأثرون بثقافتهم. كذلك يوجد معهد (معهد العلوم الشريعة الدلاوية) وهو مؤسسة إسلامية كبيرة ومن أقدم الحوزات العلمية في تايلند. تشبه هذه المدرسة مدارس الحوزة العلمية بقم، إذ تتكون من غرف مخصصة للطلاب يُدرّس فيها الفقه والأصول والحديث والأدب العربي.

وهناك مؤسسات ومعاهد أخرى في العاصمة بانكوك كالمركز الإسلامي وكذلك المجلس التابع للولاية، وكذلك يوجد الكثير من المراكز في مدن الجنوب تعمل على تقديم النشاطات الإسلامية وتعليم العلوم القرآنية.

الشيعة في تايلند

أغلب المسلمين في تايلند من اتباع المذهب الشوافعي، وفيهم مسلمون من مذاهب أخرى كالأحناف. أما الشيعة فيبلغ عددهم ٢٠ ألف ويعيش أغلبهم في العاصمة بانكوك بعد أن كان يعيش أغلبهم في أيوتويا لكنهم استقروا في العاصمة إثر الحرب التي شنتها القوات البورمية على هذه المدينة، ويسكن جماعة قليلة في جنوب

البلاد.

يرجع أصل الشيعة في تايلند إلى نسل تاجر إيراني يدعى أحمد القمي. وكان لكثرة التجارة بين مدينة آيوتايا والعالم الخارجي وتسامح الحكومة آنذاك تجاه التبادل الثقافي والديني، قد مكنا الشيخ القمي من مزاولة العمل التجاري والديني بحرية. وبعد عشر سنوات شكّل الشيخ جماعة تسمى (جانوسن) تحت إشرافه هدفها العمل على نشر الإسلام والتعريف بمذهب أهل البيت (عليهم السلام).

تزوج الشيخ القمي بامرأة تسمى (أب هواي) وتنتسب إلى أحد العوائل المحترمة ورزق منها بولدين وبنت، وبهذا تشكل أول نسل للشيخ من عائلة تايلندية.

احتفظ الشيخ أحمد القمي بروابط جيدة مع التجار الهولنديين والبريطانيين وكذلك بالتجار المسلمين في البلاد مما أدى إلى أن تعترف الدولة رسمياً بالمذهب الإمامي الاثني عشري ويكون أحد الأديان المعترف بها. وأصبح القمي مقرباً جداً من الحكومة حيث أصبح وزيراً ومستشاراً في دائرة الجمارك والموائى كما أصبح الشخص الثاني في وزارة التجارة الخارجية ونال شرف لقب (شيخ الإسلام) وهو أعلى منصب في الجالية الإسلامية التايلندية في ذلك الوقت.

وقد عمل الشيخ القمي ٢٥ سنة (١٦٣٠ - ١٦٥٤) في الحكومة وفارق الحياة عن عمر بلغ الـ ٨٥ عاماً ليحل محله ابنه الذي كان يعمل وزيراً ومستشاراً في البلاد.

وقد خلف الشيخ القمي عدداً من الأولاد وتزوج أحد أحفاده بإحدى حفيدات ملك تايلند في ذلك الوقت. وبهذا يعتبر القمي أول من أدخل مذهب أهل البيت في تايلند.

مساجد الشيعة

للشيعة عدة مساجد في تايلند أهمها:

١ - مسجد إمام بارة ويعتبر أقدم مسجد فقد بني قبل ٢٠٠ سنة وتقام فيه صلاة الجمعة للجالية الشيعية. وفي إحدى جوانب المسجد هناك مجمع سكني يتكون من مدرسة دار العلم من أجل تعليم الشباب الدروس الدينية والحوزوية.

٢ - مسجد الإمام المهدي، وهو مسجد كبير جدد بناؤه حديثاً وهو ذو قبة ومنارتين.

٣ - مسجد الفلاح وهو صغير وبجانبه مقبرة، ورواد هذا المسجد معظمهم من أصول هندية هاجروا إلى تايلند قبل ٢٠٠ سنة.

٤ - مسجد الهدى، وقد أسس قبل ثلاث سنوات بمساعي أهل الخير وإمام هذا المسجد هو الشيخ غلام علي الذي درس في الحوزة العلمية في قم.

٥ - مسجد رعاية الإسلام.

دواعي الحاجة إلى النشاطات الإسلامية

يعيش في تايلند ألوف من المسلمين الشيعة الذين أدى ابتعادهم عن المراكز الدينية إلى جهل كثير منهم

بالأحكام واكتفائهم ببعض جوانب العقيدة دون البعض الآخر، لكن النشاط الذي يقوم به دعاة أهل البيت قد ساعد في زيادة وعيهم وتعرفهم على مذهبهم، إذ يذكر أحد الوجوه الشيعية في تايلند: أن بقاءنا على التمسك بمذهبنا ليس إلا بسبب إقامتنا لمجالس الحسين (ع) وأن الالتصاق بمبادئه والثورة الحسينية في التضحية من أجل الإسلام هي التي حفظت لنا عقائدنا. ويقول آخر أن لهذه المجالس دوراً في دوام تمسكنا بمبدأ أهل البيت والحفاظ عليه.

الخلاصة والنتائج

لعل من أبرز مظاهر التأثير الإسلامي في دول الغرب السماح بارتداء النساء المسلمات لغطاء الرأس وإقرار السلطات المحلية بجواز بيع اللحم الحلال الذي يقتضي الذبح على الطريقة الإسلامية بالإضافة إلى تعيين أئمة ونشر المساجد والمراكز الدينية وبهذا وعند تجاوز النظرة السلبية للإعلام الغربي وقسم من الشعوب الغربية تجاه الإسلام نجد أن المسلمين قد أصبحوا واقعاً في المجتمعات الغربية لا يمكن تغافله أو التقليل من قيمته: (فالإسلام لا يمنع من العلم ولا يمنع من عمل المرأة أعمالاً تناسب شرفها وعفافها وإنما الذي يمنع عنه الإسلام هو الاختلاط غير المناسب بين الفتیان والفتيات وارتداد المحلات المريبة ناهيك عن مسألة الالتزام والحفاظ على التماسك بين أفراد الأسرة الواحدة، فالحجاب ليس تقييداً لحرية المرأة كما يدعي البعض، إذ أن علم النفس يشير إلى أن المتزوجة المحجبة تستقطب حب الزوج واهتمامه أكثر من غيرها).

هكذا استخلص الإمام الشيرازي (دام ظله) في كلمته ليحلل أحد أهم المسائل التفصيلية الملحة فيما يتعلق بأبرز مظاهر المجتمع المتعدد الثقافات وجوانب التأثير. ومن الضروري أن ينتبه أبناء الجاليات الإسلامية في شتى بقاع العالم إلى حجم المؤامرة التي تحاك ضد المسلمين ومحاولة إزابتهم في أتون المادية الحديثة.

المصادر

- ١ - الموسم، العددان (٣٥ و ٣٦) ١٩٩٨.
- ٢ - جريدة الوطن. العدد ٢٨. الجمعة ٢٧ / ١٠ / ٢٠٠٠.
- ٣ - الحجاب الدرع الواقى. آية الله العظمى الإمام الشيرازي (دام ظله) ص ٩ و ص ٢٥. مركز الرسول الأعظم للتحقيق والنشر. بيروت، لبنان.

شخصية العدد

سماحة العلامة السيد هادي المدرسي

هو السيد هادي بن السيد محمد كاظم المدرسي ولد في كربلاء عام ١٩٤٧م ودرس الفقه والأصول والبلاغة والأدب على يد علمائها البارزين. تفوق في الأدب والبيان واشتهر بمؤلفاته الإسلامية التي تجاوزت المائة كتاب، وأغلب تصانيفه اجتماعية وفكرية معاصرة مثل: (الإسلام أبداً)، (الصداقة والأصدقاء)، (المعراج، رحلة في عمق الفضاء والزمن)، تميز برؤية عصرية، جعلت من كتاباته تنتشر في الكثير من البلدان الإسلامية، ولسماحته سلسلة طرق مختصرة إلى المجد، (كلمات قصار نابغة من تجارب سماحته في الحياة، كما أن له جهوداً حثيثة في سبيل إنشاء قناة فضائية باسم قناة أهل البيت (عليهم السلام) الفضائية، وله موقع على شبكة الإنترنت تحت عنوان: www.modarresi.org

ويسر مجلة (الكلمة الطيبة) أن تلتقي سماحته وتطرح عليه بعض ما يعتري الساحة الإسلامية من تحديات وهموم وآمال في الحوار التالي:

الكلمة الطيبة: كيف تنظرون سماحتكم إلى خصائص النهضة المعاصرة واتجاهات تراثنا الإسلامي على مستوى التنظير والواقع؟

السيد المدرسي: مما لا شك فيه إن صحة النظرية وصحة التطبيق تؤدي إلى نهضة حقيقية. ومتطلبات النهضة الحقيقية ينبغي أن تكون على بناء سليم، تماماً كما أن البناء يبقى إذا كان على أرضية صلبة وضمن مخطط هندسي صحيح، كذلك ما يرتبط بالنهضة، لابد من وجود أرضية صلبة تمثلها القيم والمبادئ الحقّة والعمل بشكل سليم، لغرض الوصول إلى نهضة حقيقية.

وفي الحقيقة أن المسلمين يملكون كل هذه المقومات من وجود مبادئ صحيحة وسليمة وأيضاً وجود النظرية القائمة على أساس كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) وسيرة أهل بيته (سلام الله عليهم) والذي يبقى هو سير العمل وفق تلك النظرية وبشكل سليم.

فالتنظير وحده لا يكفي والعمل السليم بدون تنظير أيضاً لا ينفع دائماً، فالنجاح يقوم على دعامتين - فكرة صائبة، وعمل سليم - أما عن اتجاهات الأمة في الوقت الحاضر، فلا بد من القول أن هنالك ثلاثة اتجاهات رئيسية تتنازع أبناء الأمة في كل مكان:

الاتجاه الأول: الذي يدعو إلى التقوقع في الماضي وعدم الانطلاق من الحاضر إلى المستقبل.
والاتجاه الثاني: يدعو إلى الهروب إلى الأمام أي الانسلاخ على الماضي والقفز باتجاه المستقبل بما يسمى بـ(الحداثة).

والاتجاه الثالث: أن نأخذ من ماضينا العبرة ومن ديننا القيم والمبادئ ومن تراثنا التجارب ونأخذ الواقع بعين الاعتبار لننتقل منه إلى المستقبل.

واعتقد أن الاتجاهين الأول والثاني لم يكتب لهما النجاح سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الأمة فمن

لا يكن في زيادة في أمره كان في نقصان ولم يستحق الحياة، ومن تساوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو مطعون، ومن لم يرى الزيادة في نفسه فهو إلى نقصان، ومن كان إلى نقصان فالموت أولى به - كما ورد في الحديث الشريف - .

الكلمة الطيبة: لقد اتكأ البعض في طرح آرائه على بعض الموارد التي لا تمتُّ بصلةً إلى المفاهيم العميقة للإسلام خصوصاً فيما يتعلق ببعض الآراء الساعية لإعطاء الإسلام صبغةً متخلّفة فكيف تتعاملون مع هذه الشبهات؟

السيد المدرسي: نحن نعرف أن التقول على الإسلام في المجال العقيدي أو المجال المعرفي أو الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي ليس جديداً، فالإسلام كغيره من الديانات وكل القيم والمبادئ الحقّة يتعرض أحياناً إلى الاستغلال، حيث يتكئ البعض على آرائه الخاصة بعد أن يستخدم بعض التعابير الدينية أو يصبغ نظريته بصبغ خفيف من المبادئ والقيم دون أن يلتزم بالحقيقة فيما يرتبط بالإسلام.

والإسلام أثبت بالتجربة أنه ما أن يدخل عقول أمة من الأمم ويصبح ضمن دورته الحضارية إلا وينطلق انطلاقة كبيرة كما رأينا في أمم متخلّفة كثيرة ابتداءً من العرب قبل ظهور الإسلام حيث أنهم خلال ٤٠٠ عام لم ينتجوا شيئاً لا في المجال الاقتصادي ولا في المجال الاجتماعي ولا في المجال المعرفي وكانوا متخلفين بمعنى الكلمة والأمر الوحيد الذي برزوا فيه كان في مجال الأدب والشعر وحتى في هذا المجال فإنهم لم يقدّموا إلا المعلقات السبع وهي مجموعة قصائد يمكن لأي شاعر معاصر الآن أن ينظم العشرات منها خلال فترة قصيرة من الزمن.

وحينما نزل الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحدث نهضة في داخل نفوس الناس ومن ثم في مجتمعاتهم وصنع منهم بُناة الحضارات، ونفس التجربة إذ تكررت أيضاً فيما ارتبطت بأوروبا المتخلّفة حينما تعلموا من المسلمين في الأندلس وتعلّموا منهم في الصراع الذي حدث بين المسلمين وبين الصليبيين فعادوا وصنعوا نهضتهم حتى اعترف المفكر المعروف غوستاف لوبون قائلاً: (أنه لولا ظهور العرب المسلمين على مسرح الحياة لتأخرت نهضة أوروبا لعدة قرون). فالإسلام بطبعه دين نهضوي وهذا يؤدي إلى أنه لا يمكن أن ينتج تخلفاً، فإذا رأينا أن بعض المدّعين تخلفوا، ذلك لعدم احاطتهم بالمستلزمات الأيديولوجية لنظام الثوابت والمتغيرات التي يعتمد عليها الإسلام في منهجه المتكامل.

الكلمة الطيبة: تسعى بعض أجهزة الإعلام الغربية إلى طمس بعض الحقائق لتشويه صورة الإسلام ووصفه بصفة الإرهاب. كيف تنظرون إلى هذا على ضوء فلسفة العنف والسلام في المنهج الإسلامي؟

السيد المدرسي: الحقيقة أن مسألة العنف واللاعنف تختلف تماماً عن مسألة إتهام الإسلام أو المسلمين بالإرهاب، يعني أننا لو افترضنا أن المسلمين ألغوا من دينهم ومن كتابهم كل ما كان بالسيف، بالقتل، وبالقتال وألغوا تاريخهم في الصراعات والحروب والغزوات فإن بعض أجهزة الإعلام سوف تبقى في مواقع اتهاماتها للإسلام ووصفه بالعنف والإرهاب أي أن إيماننا بوجود الجهاد في الإسلام لا يرتبط باتهامنا بالإرهاب فلو لم يكن هنالك جهاد في الإسلام فإن هذا الاتهام ربما كان قائماً تماماً فالغربيون يستخدمون العنف، والسلاح والحروب والقتال والغزو والاحتلال والاستعمار بحق الشعوب الأخرى ويتهمون بأن الإسلام قام بالسيف ويستشهدون بسيف علي بن أبي طالب (عليه السلام) وغزوات النبي (صلى الله عليه وآله) وسراياه. ونحن نعرف أن العقيدة

لا تقوم على الإكراه ولكن هذا الإتهام كان قائماً ولا يزال.

فالمسألة لا ارتباط لها بالمنهج في الإسلام، لاسيما وأن الإسلام يؤمن بأن الرافد الأساسي في الحياة هو صليحي وصلاحي وإصلاحي وهذه التعابير الثلاثة هي منهج الإسلام: أي الصلح، والصلاح، والإصلاح، ويبدأ من صلاح النفس إلى الصلح مع المجتمع إلى إصلاح ما فسد منهما.

ولكن هذا الصلح والصلاح والإصلاح يختلف من حيث الوسائل، فمع مجرم شرير يتوسل بالقتل والقتال والسلاح لتنفيذ إجرامه، أنت لا تمتلك خياراً إلا أن تواجهه بالسلاح الذي يفهمه، ومع جماعة تستخدم السلاح ضد الناس أنت لا تمتلك إلا السلاح لمواجهتهم. فكفار قريش الذين أرادوا إخماد صوت الدين والإسلام بقوة السيف والنبي (صلى الله عليه وآله) صبر على إيدائهم ١٣ عاماً وقتلوا بعض أصحابه وتأمروا على قتله لم يجد بداً من استخدام السلاح لمواجهتهم.

ولا أعتقد أن أحداً يقول أن استخدام سيف علي (عليه السلام) لمواجهة سيف أبي سفيان في ذلك الوقت كان خطأ وأن على المسلمين أن يقبلوا بأن يفرض كفار قريش عليهم الكفر لكي لا يُستخدم السلاح لمواجهتهم وقد قال جلا وعلا: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله).

والسؤال هو ضد من يُستخدم العنف؟ ومع من لا بد أن نستخدم الصلح؟

الصلح مع الصالح وليس الصلح مع الفاسد، نحن مكلفون بأن نكون أخوة مع المؤمنين مثلما نحن مكلفون بنفس الوقت بأن نقاطع الكفار حتى أن في القرآن الكريم آيات تأمرنا بأن لا نجد أنفسنا في مجلس ينتشر فيه الكفر كما أن القرآن يأمرنا بأن لا نؤاد من حادّ الله فإذا استخدم العدو السلاح فلا بد من مواجهته بما يفهمه وبما يردعه وبذلك يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم).

فالمشكلة أحياناً هي أن العنف يستخدم في غير مكانه والصلح يستخدم أيضاً في غير مكانه، ونحن نرى شرعاً بأن الصلح مع الصالحين واجب، والعنف كذلك مع من يستخدم العنف ولا يرتدع. والنصيحة والكلام أيضاً أمر واجب، فزهير بن القين في يوم عاشوراء استأذن الإمام الحسين (عليه السلام) لينصح جيش عمر بن سعد الذين جاءوا لمقاتلة الإمام الحسين بن علي (عليه السلام) ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأذن له الإمام فخطب فيهم وقال: نحن وأنتم على أمة واحدة وأنتم أهل للنصح فإذا وقع بيننا السيف كنا أمة وكنتم أمة. فإذا وقع السيف فإن النصح لا ينفع، لأن النصح ينفع قبل أن يقع السيف.

ومن هنا نعتقد بأن من الطبيعي أن يكون هناك لمواجهة المجرمين عوامل للردع كما هو المعمول به عند البشر، فلا يمكن أن تذهب إلى دولة ما وإلى مجتمع ما إلا والمجال مفتوح أمام الصالحين. وكما أن المحكمة والسجن وما شابه ذلك أيضاً معمول به بالنسبة للمجرمين. فالقاعدة هو عدم انتفاء الشك بوجود أشرار في كل المجتمعات ينطلقون من دواخلهم الشريرة وأخيار ينطلقون من دواخلهم الخيرة. ومن الطبيعي أنك مع الأخيار لا بد أن تستخدم السلام والصلح، ومع الأشرار لا بد أن تخاطبهم بما يعرفون، وهو القوة لمواجهة القوة، أي قوة الحق لمواجهة قوة الباطل.

الكلمة الطيبة: ما هي برأيكم مقومات الخطاب الإسلامي الفاعل على الساحة العربية والدولية؟

السيد المدرسي: نحن نمتلك أهم وأعظم ما يمكن أن يملكه بشر، وهو المعرفة. الحقيقة ونحن نقول: نحن نمتلك، فلا نقصد أن المسلمين يحتكرون معرفة الحقيقة، لكن الذي نقول أن صانع الكون وصانع الحقيقة أرسل أنبياء وبعث معهم كتب وختمهم بخاتم الرسل ومعهم معرفة الحقيقة. من هنا فإن الخطاب الإسلامي لا بد أن يعتمد على مجموعة أمور:

أولها: المعارف الإلهية والتي تبدأ من معرفة الله وتنتهي بمعرفة الآخرة أي ما يسمى بأصول الدين. وثانيها: إبراز الإسلام في أبعاده المختلفة. هذا الدين الواسع والذي جاء للبشرية جمعاء إلى يوم قيام الساعة وله بلا شك ولا إشكال وشبهة أبعاد مختلفة.

هذه الأبعاد بعضها يرتبط بحياة الناس الاجتماعية وبعضها يرتبط بحياتهم الاقتصادية وبعضها يرتبط بمجالات التعامل، وما شابه ذلك.

ولكل مجتمع نقاط انحرافه أو نقاط ضعفه، وبعبارة أخرى حاجاته إلى بعض أبعاد الإسلام ربما تكون أكثر من بقية الأبعاد، يعني تماماً لو أنك ذهبت إلى مجتمع اقتصاده سليم لكن مشكلته تكمن في علاقات أبنائه بعضهم ببعض، لا بد أن يكون خطابك جامعاً للجانب الاجتماعي من مجموعة المبادئ والقيم والمثل التي أسسها الإسلام، ولو ذهبت إلى مجتمع آخر وهو جيد في مجال العلاقات الاجتماعية لكنه متخلف في الجانب الاقتصادي لا بد أن تبرز الجانب الاقتصادي لذلك المجتمع، ولو ذهبت إلى مجتمع يعيش الرفاهية بشكل لا بأس به لكن مشكلته في الفسق والفجور فلا بد أن تتحدث له عن مساوئ ذلك على مستقبله في الدنيا والآخرة. وبهذا فإن الخطاب الإسلامي يجب أن يكون مواكباً للمتغيرات على الأرض بالنسبة إلى مختلف الشؤون التي ترتبط بالإنسان.

الكلمة الطيبة: كيف ينظر سماحة السيد المدرسي إلى مستوى التغيرات المتلاحقة على المستوى العالمي في شتى الأصعدة؟ ما هي الكيفية التي تضمن مواكبة هذه التغيرات؟

السيد المدرسي: التطور البشري قانون ثابت من قوانين هذا الكون وسنة إلهية لا تقبل التغيير والتبديل وذلك يعني أن التغيير قانون ثابت في الحياة ومن لا يقبل مواكبة هذا القانون سوف يكون خارج الحياة. إنما لا بد من الأخذ بعين الاعتبار أن التغيير للتغيير ليس مطلوباً إنما المطلوب التغيير نحو الأفضل وهذا يعني أن هنالك في الحياة خطان: خط ثابت هو المثل والقيم، وخط متحرك وهو خط التغيرات والتبدلات على أساس تلك المثل والقيم.

والأمر في هذا المجال مثله مثل القطار الذي يتحرك على سكة ثابتة فبدون وجود الثبات في السكة لا يمكن للقطار أن يتحرك. هنالك متغيرات وأن هذه الحياة كانت في السابق وستبقى في المستقبل وإنما وتيرة هذه التغيرات قد تكون أسرع من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان. والكيفية التي تضمن مواكبة هذه المتغيرات أن نكون نحن المساهمون فيها، أي أن يكون التغيير تغييرك أنت، فأنت الذي تواكبه، أنت الذي تقوده. وعندما يكون التغيير من قبل غيرك فأنت حينئذ تلاحقه أي أنك عندما تصنع القطار فلك امتياز صنعه وباستطاعتك أن توجهه إلى المكان الذي تريد، أما حينما تريد أن تتركب قطاراً صنعه الآخرون فإنّ جلّ ما تستطيع أن تفعله هو أن تلحق به وتحاول أن تكون ضيفاً على أصحابه وتنقل به من مكان إلى مكان كما يحلو لأصحاب ذلك القطار، لذا فنحن نضمن مواكبة التغيرات باتجاه الأفضل حينما نكون مساهمين فيها وفاعلين في حركة هذه التغيرات باتجاه يضمن لنا المستقبل.

الكلمة الطيبة: أخذت تيارات وأمواج العولمة تجتاح العالم بما فيه من ثقافات وخصوصيات، فكيف يقيم سماحة السيد المدرسي تحصن المسلمين ضد المد السيئ للعولمة؟ وما هو تكليف المسلم الذي يجد نفسه عرضة لبعض مساوئها وبمعنى أشمل ما هو واجب الدول الإسلامية تجاه ذلك؟

السيد المدرسي: من الواضح أن العولمة لها جوانبها الإيجابية كما لها جوانبها السلبية وفي الحقيقة فهناك من يريد أن يستغل العولمة حال تقارب المسافات ووسائل الإتصال السريعة لفرض سيطرته وهيمنته وثقافته اقتصادياً واجتماعياً وعسكرياً على مستوى الكرة الأرضية، وبمعنى آخر فإن تحول الكون إلى قرية وقرى وفرصة للأقوياء لكي يجعلوا الكون كوناً قروياً، بينما المطلوب أن يكون الكون قرية كونية. والفارق بينهما هو أن منطقة صغيرة من العالم تحاول أن تفرض إرادتها على جميع المناطق بفعل قوتها الاقتصادية والعسكرية وتقدمها التكنولوجي وهذا يعني أن الكون يتحول في مثل هذه الحالة إلى كون قروي، كما يتحكم في القرية مختار واحد، فإنه يتم التحكم في العالم من قبل إمبراطور أو رئيس دولة واحدة.

لكن الجوانب الإيجابية من العولمة وهي التي تتيح للدولة مهما كانت صغيرة أن تكون مساهمة ومواكبة للمتغيرات وعاملة في هذه الجوانب لا يمكن غض النظر عنها، ومن ثم النظر للعولمة كحالة سلبية. وفي الحقيقة إنه لا يمكن إذابة الفروقات بين البشر ولا يمكن القضاء على الخصوصيات بين الناس لأن ذلك يرتبط بسنة الله سبحانه الذي يقول: (وخلقناكم أطواراً) وحسب، فبقدر ما خلق نفوساً خلق أذواقاً وذلك فبمقدار ما خلق الله من بشر فإن لهم خصوصياتهم ومتطلبات حياتهم.

ولا نعتقد أنه في يوم من الأيام تفرض إرادة واحدة وثقافة واحدة ونمط واحد للحياة على كافة البلاد ومن ثم إذابة الفروقات الثقافية والحضارية بين الشعوب. وتكليف المسلم في هذا المجال هو أن يحافظ على معتقداته وعاداته وتقاليده على مستوى الفرد والعائلة والشعب والأمة.

أما الدول الإسلامية فإن العولمة لا تستطيع أن تسلب منها إرادتها في عقائدها وفي أنماط حياتها وفي عاداتها وتقاليدها، صحيح أن الجدران تنهوى في زمن العولمة ما بين شعب وشعب وما بين ثقافة وثقافة ولكن تبقى إرادة الإنسان فوق إمكان مصادرتها من قبل أية قوة.

ونحن مطالبون أن نساهم في الحالة العالمية وأن نحافظ على خصوصياتنا، فالإسلام من الديانات التي نادت بالعالمية حيث بعث الله سبحانه نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله) للناس كافة، وخطابات القرآن الكريم هي خطابات عامة للناس أجمعين، والمسلمون لم يكونوا في يوم من الأيام متوقعين في ذواتهم ومجتمعاتهم، بل كانوا يتلاقحون في جوانبهم الاجتماعية مع بقية الأمم والشعوب، وكان شعار المسلم شعار الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، حيث ذابت الشعوب فيما بينها في بودقة صالحة واحدة بالاتجاه الأفضل حضارياً وثقافياً وعالمياً.

الكلمة الطيبة: إذا كانت الحقبة التاريخية السابقة قد حملت نوعاً من الصراع فيما سمي بصراع الحضارات، هل تعتقدون أن الأوان قد حان لحوار حضاري هادئ بين الشرق والغرب عموماً وبين الإسلام والغرب بصفة خاصة.

السيد المدرسي: نحن نعتقد أنه يوجد بلا شك تنافس بين الأفراد والشعوب، بين الثقافات، لياخذ هذا التنافس شكل الصراع الإيجابي في صورة المساهمة وقد يأخذ الشكل السلبي في صورة التقاتل والتناحر والتناقض -

صراع الحضارات - الذي يقوم على هذا الأساس، إذ أن بعض الحضارات تعتمد الصراع والهيمنة كوسيلة من وسائلها لإذابة الحضارات الأخرى أي أن هناك نوعان من الحضارات:

هناك حضارة الصراع.

وهناك صراع الحضارات.

نحن نقبل بصراع الحضارات ولكن لا نقبل بحضارة الصراع. ولا نعتقد أن حوار الحضارات بديل عن صراع الحضارات لأن الحوار وسيلة من وسائل التعاون.

بينما مقولة صراع الحضارات هي نظرية الذي أطلق مقولة صراع الحضارات (سامويل هنتنجتون) كان يقصد من ذلك أن مستقبل البشر سيقوم على التناحر ما بين الثقافات المختلفة أي ما بين الديانات المختلفة المسيحية والإسلام مثلاً. وفي مقابل هذه النظرية فإن النظرية الصحيحة هي تكامل الحضارات وليس حوار الحضارات، لأن الحوار وسيلة من وسائل التفاهم أو وسيلة من وسائل الصراع لكن الكلام ما هي النظرية؟

نعتقد بنظرية تكامل الحضارات ونعتقد أيضاً أنه ما من حضارة هي معصومة من الخطأ ومن ثم ما من حضارة كاملة. الغرب يمتلك تقدم في المجال التكنولوجي وفي المجال العلمي، لكن الغرب في المجال الروحي يعاني من خواء وفراغ. والغرب يهتم بالوسائل وقد تقدم في ذلك ولكن الغرب لا يهتم ولا يطرح سؤالاً حول الغايات (الديانات السماوية) التي - كملها الإسلام - تتحدث عن الغاية بينما الحضارة القائمة تتحدث عن الوسيلة (السيارة وسيلة، والطائرة وسيلة، والسفينة وسيلة، ووسائل الاتصالات وسيلة، والانترنت وسيلة، والفضائيات وسيلة) والحياة أساساً هي وسيلة. السؤال هو الغاية. لم وجد الإنسان على هذه الأرض؟ ماذا يجب أن يفعل حتى يضمن حياة سعيدة بعد الموت؟ هذه الأمور لا يملك الإجابة عليها إلا الدين ومن ثم التكامل ما بين الحضارات هو مصلحة الجميع.

قراءة في كتاب

قراءة في كتاب (في السجن كانت مقالات)

للسيد مرتضى الشيرازي

مجموعة مقالات وبحوث كتبت في زاوية من زوايا السجن

محمد خالد

في السجن كانت مقالات كتاب بـ (١٧٤ ص) من القطع المتوسط يحتوي مجموعة مناقشات بقلب دافق وأمل مشع بالإيمان وتاريخ عريق جاء لينبض بلامح ذلك الكابوس الذي يسعى لافتراس حياة العلماء والمجاهدين من أبناء هذه الأمة ولیمارس بین طياته دوره الرائد في نشر تعاليم تلك الرسالة المحمدية والعترة الطاهرة بمواقف مشرقة من الصمت المتألم وبمعالجات استعراضية احتوت مواطن تلك القدرة الصامدة من التجارب المروعة من خلف القضبان وبروح جهادية عالية لمواجهة دائرة الخوف والقلق من خلال ثلاثين بحثاً أو رسالة تناولها السيد مرتضى الشيرازي نجل سماحة المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (مد ظله) أحد الرموز العظام للثورة الإسلامية في عصرنا هذا، وكانت تلك الدراسات شعارات ثائرة وصرخات عارمة وأتات متألمة تحمل معها مرارة ذلك الصراع ونزيفه المكابد بثورة من الصبر والإيمان.

موضوعها الأول كان بعنوان (امتحان إلهي قبل الخلق) تجسدت فيه مناقشة لأبعاد موضوعاته اللاحقة على أساس تلك الرؤية التحليلية والتأملية التي تجمع بين التفسير والتأويل العقائدي والفلسفي ابتدأت بمنزلة الإنسان في عالم الذر حينما خلقه الله ليحمل فوق أكتافه أوزار ذلك الامتحان الشاق فكانت الأمانة ثقيلة لا يقوى على حملها إلا من انتهج طريق الطاعة التي ارتوت بفيض ذلك الإشراق النوراني المتدفق بمحبة مصابيح الهدى وأعلام السرى لذا تناول سماحته موضوع زيارة سيدتنا فاطمة حيث ورد في مضمون زيارتها (السلام عليك يا ممتحنة امتحكك الذي خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحكك به صابرة...) ص ١١. ليربط ما جاء به وبرؤية فلسفية عين تلك النسب الوجودية والمقولات السبع التي تندرج تحتها الإضافة والأين والتمت في بحث الإضافة والوجود الرابط ذلك الذي ناقشه في ص ١٢ من الكتاب في قوله: (كيف يتم الامتحان قبل الخلقة مع أن الامتحان من الأمور الحقيقية ذات الإضافة المتقومة بالطرفين الفاعل والقابل وتعلق هذا الامتحان السابق زمنياً بالوجود واللاحق زمنياً..) ص ١٤.

وفي (شبهة الجبر) رداً لمن توهموا باستدلالهم فيما ورد في قوله (عليه السلام): (والذي لم يستطع وكيف يستطيع...) ص ١٦، يرد سماحته تلك الشبهات في كون (أن هذه العبارة عرفية) كما تقول: لا أستطيع أن أسكت عن المطالبة بحقي) والمعادلة الكلية هي (علم الله بأن زيداً سيعمل كذا لأنه كان سيعمل كذا) لا (لأن الله علم أنه سيعمل كذا فعمل كذا) وهو ما أشار إليه الحكيم الطوسي (قده) بقوله في (التجريد ص ١٦) وكان استدلال

سماحته من خلال هذه الردود بأن النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لم يجبر على قبول الرسالة السماوية بل إنه تقدم بقبولها حينما أمر فكان مختاراً ومريداً ص ١٧. وهذا الاختيار يتبع قدرة الإنسان واستطاعته التي تتناسب مع حجم إيمانه وعلمه الذي هو ليس مجبوراً عليه بل أنه يشكل أعظم درجة من درجات التقوى التي يرتقي فيها الإنسان عن غواية الشيطان وخطراته فيصبح قريباً إلى المولى لا تحجبه السواتر عندها يشعر بالأمان والاطمئنان في دينه ودنياه لذا فقد كان الوصف الإشرافي والفيض الروحاني المتجلي في رؤيا مدينة الإمام الرضا (عليه السلام) (ص ٢٠) يضيف ذلك الرمز العظيم النابع من سر اللطف الإلهي الذي جسده سماحته حين قال:

(وما أشدُّ الفرحة التي امتلكتني برؤية أربعة من المعصومين (عليهم السلام) دفعة واحدة وبأنني كنت محط انتمائه (عليه السلام)) والمقصود الإمام الرضا (عليه السلام).

تلك الرؤيا التي أحاطت به كانت لباساً من الكرامة التي جعلها الله سبحانه وتعالى لمن أسفر في طاعته وتقواه فالرؤيا التي كانت قبل سبع سنوات مضت والغاصبين لخلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) وبكاء فاطمة الزهراء (عليها السلام) كما ورد في ص ٢٣ ما هو إلا تلك الرفعة التي خص بها عز وجل عباده من الصالحين لتكون لباساً واقياً وسلطاناً أمام كل طاغية عنيد وشيطان مارد (ص ٢٤ - ص ٢٥).

(حتى كان ذات يوم وقت السحر على ما أتذكر - حيث شاهدت إبليس بصورة وزعة؟ ويعرف باللهجة العراقية بـ(أبو بريص) وهو يبتعد عني هارباً بسرعة كبيرة.

ولقد أثار استغرابي الشديد، وأنا أنظر إليه)... (وإذا بالباب تفتح...) ص ٢٧ حيث ينقل لنا سماحته ذلك المشهد الوصفي الذي يحمل عنوان رؤيا في السجن، لينسج ذلك الفيض في عناوين الكتاب المختلفة والتي تحمل معها أصداً رسائل تفوح برائحة رحيق ذلك التصميم الغارق بالصمت المتألم والزهد الصوفي الذي يسعى لبلوغ ذلك المعقل المنيع والحبل الوثيق عزيز الجند عظيم المجد لبلوغ الغايات وتجنب الإبلas وروعات الفرع.. أما الصلاة والذكر والعبادة وقراءة الأدعية والمستحبات فهي اللغة الجامعة بين العبد والمولى (ص ٣١) في فضل الصلاة والدعاء وأقوال سيدنا ومولانا الإمام زين العابدين سيد الساجدين (عليه السلام) لذا تطرق سماحته لمناقشة ذلك في موضوع (سباق الجمادات نحو طاعة الباري) ص ٣٤ وحرز الإمام الجواد (عليه السلام) وموضوعه تلك المجادلة التاريخية بين الإمام الجواد (عليه السلام) والمأمون العباسي ص ٣٩ - ص ٥١ إذ ورد فيها: (ثم هو عزيز غالباً) كما قال تعالى في موضع آخر: (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) فهل للمأمون وغيره بعد كل ذلك أن يركن إلى سلطته وقوته وأن يعتزّ بملكه وجبروته) ص ٤٩ بعد أن سخر الله سبحانه وتعالى كل شيء لخدمة رسله وأوليائه الصالحين وما قصة إبراهيم (عليه السلام) إلا دليلاً على ذلك كما ورد أيضاً في (غصن الزيتون) ما قاله تعالى: (يا نار كوني برداً وسلاماً).

واستمر سماحته في تبين فضل المواظبة على قراءة السور القرآنية في الصلاة اليومية وما امتازت به فضائل سورة القدر والتوحيد (إنها تركيز للعلاقة بين العبد - الكتاب - الرب) وهذه السور المباركة تسلط الأضواء على معادلة أخرى هي في غاية الأهمية أيضاً... تكشف عن ترابط تكويني تشريعي شامل على كل المستويات بين الرب - رسل السماء - الأنبياء - ثم الأوصياء مختتماً بالإمام صاحب الزمان (عجل الله فرجه) ص ٥٥ - ٥٦. ولكن لا بد من الإشارة إلى فضل العلم كونه نور (وبه تدفع الشبهات) وهذا ما جاء به كتاب الله عز وجل في

التدبر والتفكر... لا أنه العلم الذي يهدي إلى الخالق) ص ٦٣.

ولكن كيف ونحن مخلوقين له وهو الأعظم والأكبر فلا بد من ذكر التعقيبات بعد الصلوات الخمس ومن ضمنها (ما شاء الله لا قوة إلا بالله.. استغفر الله) ص ٦٨ والمستحبة بعد صلاة المغرب أن تقرأ عشر مرات ولدفع التخوف والاضطراب والقلق الناجم عن عدم الاطمئنان القلبي المتكامل لا بد من قراءة: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) ص ٦٩.

ويبقى الرجاء في محبة أهل البيت ذلك النور المتوهج في ظلام وحشة القبر والسجن ليصبح الدعاء رسالة محمولة على أكتاف طائر سجين يغص بلوعة الجراح والذي يؤكد سماحته في ذلك الرجاء ص ٧٢ في ليلة ميلاد سيدتنا الزهراء (عليها السلام) ذلك العمق الكامن وراء هذه العبارة البسيطة المظهر (حوض الكوثر) ص ٧٤ إذ يقول سماحته: (إن كان الإدراك بدائياً جداً وصورياً أيضاً كما يدرك الطفل من مجاهيل الرقائيق الإلكترونية في الكمبيوتر) تلك الحقيقة هي تلك التي أضحت لافتة هذا المثال حوض الكوثر). وحوض الكوثر وجرعة الشراب الطهور الذي يتناوله المؤمن من يد مولى الموحدين أمير المؤمنين (عليه السلام) ص ٧٩.

وفي ص ٨٣ يصف سماحته ما يحيط به في تلك الزنزانة بوصف يعتصر بالحزن والمرارة في أعماق دائرة مظلمة محاطة بظلمها الثقيل وكابوسها المرعب.

إن يقول: لا أعلم ما الذي يراد بي؟

وإلى أين تسير بي مقدراتي؟

هنالك و... وأنا أعيش في أعماق ضميري قلقاً متزايداً كانت تتفجر بي أحياناً موجة الرعب تلك، الرعب من المجهول ص ٨٣.

ولكن وفي الحديث: (وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رفقا به وتستغفر له حتى الحيتان في البحر) ص ٨٧.

ترى أهو العقاب حقاً أو هو الموت حقاً أم أن هنالك مشاهد وأحوال (لا تصمد لفداحتها الجبال الرواسي ولا تتحمل وطأتها أقوى النفوس شراسة وأشدّها شكيمة) ص ٨٩.

إن كيف نعود إلى تلك النسب المتشكلة بين الماهيات وكيف؟ ... (إن المعادلة في الصفات الحقيقية ذات الإضافة هي وجود تناسب بين الطرفين وبين الوسيط بين الفاعل والفعل والقابل، إلا أن الله أعلى وأجل من ذلك (...).

وبهذا يستشهد سماحته بما قاله الإمام زين العابدين والأئمة المعصومين (عليهم السلام) ص ٩٦.

فما أعظم الدعاء (ليجعل الله فرجاً وليه المنتظر) ترى كيف يحصل هذا؟ إن الله تعالى يستجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ولكن ما هي شروط الدعاء؟ ص ١٠٠.

يتطرق سماحته هنا إلى ما يحترق في نفوسنا من أجل مصالحنا وذواتنا خصوصاً في موارد ضعفنا لذا يقول: (ومع ذلك وكثيراً ما وعند نقطة ضعف وضغط معينة كانت تتفجر بي الدعوات والابتهاالات وبعمق وصدق لكي يفرج الله عني!! ثم استدرك بتعجيل فرج الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) قبل ذلك ولكن أين تلك الحرارة وذلك العمق في الابتهاال؟

عند ذلك عرفت إحدى العلل في عدم استجابة دعواتنا بتعجيل فرج الإمام (عجل الله فرجه). وعرفت أن الله

تعالى ومن هذه الجهة أيضاً إضافة إلى جهات أخرى لا يجد فيها تلك (الخميرة الصالحة) و(الأنفس الوالهة) و(القلوب المتميمة) و(العقول الناضجة) المهيأة لـ(ظهور المنقذ الأعظم = أمل البشرية ورمز السعادة الدنيوية والأخروية).

ومن جملة الوصايا التي أشار إليها سماحته أيضاً ص ١٠٢ بعد تناول أفضال مسائل الصلاة والعبادات وآثارها النفسية والتكوينية ما روي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) في لعن الظالم وأفضال الزيارات كزيارة عاشوراء تلك الواردة في مستدرك الوسائل وبحار الأنوار والصحيفة السجادية الجامعة ومفاتيح الجنان ص ١٠٣، ص ١٠٦.

وفي تساؤلات البعض إشكالات واردة يجيب عنها سماحته في هذا البحث حيث يقول: (حالة حيرة بل تعجب واستغراب بل ومضات ريب وشك وربما تطفح على السنة بعضهم تساؤلات ...) ص ١٠٧.

(هل يمكن أن يعطي الله لمن يقول كل يوم مرة واحدة: اللهم العن الجبت والطاغوت سبعين ألف حسنة ويمحو عنه سبعين ألف سيئة ويرفع له سبعين ألف درجة...؟).

وربما يزيد بعض المتنورين (المتقنين) لماذا نتعمد شحن النفوس بالعداوة والبغضاء؟ لماذا لا نحلّ الألفة والرافة والأخوة والمحبة والصفاء محل كل ذلك؟ لماذا نؤجج أحقاداً تاريخية دفينّة؟ ولماذا لا (نتحد) ونكون يداً واحدة على جحافل الأعداء وجيوش الشرك والظلال والاستعمار والاستعباد؟ ص ١٠٨.

وبهذا يستشهد سماحته بما ورد في القرآن الكريم عن علو فرعون في الأرض وعاد وشمود وقارون وأصحاب الأيكة وما قاله الله تعالى في كتابه العزيز: (ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة...).

لذا إن التبري من أعداء أهل البيت (عليهم السلام) كالتبري من أعداء الرسول وموالاته الأولى والثاني والثالث ومعاوية ويزيد كمالات أبي سفيان وأبي لهب وهبار - ضارب زينب بنت النبي (صلى الله عليه وآله) وقاتل سبطه. وهذا فرز بين معسكر الكفر ومعسكر الإيمان، بين أئمة الهدى وأئمة الظلال لأنه جزء متصل بلعنة الله على الظالمين، فالمسألة ليست أحقاداً تاريخية كما يدعي البعض وانتهت بل إنها (وإذا كان ذلك حقاً طبيعياً - فطرياً عقلياً - عقلياً لا ريب فيه ولا شبهة تعتريه) ص ١٣٦.

ولذلك أيضاً كان التركيز في زيارة عاشوراء: (فلعن الله أمة أسست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت..) ص ١٣٧.

وفي موضوع لماذا نهج البلاغة ص ١٣٩؟

يستشهد سماحته بما جاء بحق نهج البلاغة لإمامنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

(فكان بحق فوق كلام المخلوقين ودون كلام الخالق) ذلك - وما حصل لكبار الأساتذة الذي اختار الأدب العربي لما رآه في تلك البوابة التي فتحت أمامه الطريق والمدخل في مسيرته الأدبية التربوية العقائدية ذلك نهج البلاغة. وما امتاز به الشريف الرضي (قده) (من حدة الذكاء وبراعة الأداء ما جعله وعلى مر التاريخ - القمة السامقة في (جودة الانتخاب) فقد تجلت عظمة روحه وأصالة تفكيراته وصفاء نفسه في دائرة معارف مصغرة وحقيقية) تعكس جوانب عديدة من حياة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وهكذا اتخذ البلاغة جسراً يوصل عبره إلى قلوب الناس وعقولهم) [١٤٢].

وقد تناول سماحته ذلك رداً على بعض الادعاءات الواردة بخصوص الشريف الرضي ونهج البلاغة. ولماذا سماه الشريف الرضي بهذا الاسم. ومن المقصود بنهج البلاغة بالإضافة إلى الإشارة إلى من يغلف قلوبهم التعصب وما هي الأهمية الكامنة في موضوعات ذلك النهج كأنه ينصح الجميع بدراسة ذلك والوقوف على ما جاء به سيدنا ومولانا إمام المتقين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ويختتم سماحته مؤلفه هذا بقوله (كلمة الله) هي دعوته ومناهجه وبرامجه، وهندسته التشريعية للحياة) هي العليا وليس لغيرها أية درجة من العلو والسمو.. (إذ ليس غيرها عالياً وسامياً بأية مرتبة من المراتب) ص ١٥٥.

ثم يقدم نموذجين من الكتابات الفارسية الأولى (میزگرد مصطفى) والثانية (درخشنده تراز مليارد خورشيد). لينطق بالعزة والرفعة لمن قال لا إله إلا الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبو القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم إلى يوم الدين.

جولة الكلمة

مؤسسة سيد الشهداء الخيرية - طهران

دأباً على عاداتها في تسليط الأضواء على أهم المؤسسات الإسلامية، وتقصياً لأخبارها في عواصم العالم الإسلامي كانت جولة (الكلمة الطيبة) لهذا الشهر في مدينة طهران حيث يقع أحد المستوصفات الخيرية العريقة، حيث التاريخ الطويل نسبياً في خدمة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) والمكانة التي وجدها هذا المشروع الكبير بين المسلمين في هذه المنطقة.

وتنتهز مجلتنا فرصة اللقاء بسماحة السيد عبد الرسول الموسوي (أبو أديب) أحد أعمدة هذه المؤسسة لإطلاع زوارها الكرام على تاريخ هذه المؤسسة وهيئاتها الأخرى.

الكلمة الطيبة: سماحة السيد الجليل، نرحب بكم في مجلتكم (مجلة الكلمة الطيبة) ونود إعطاءنا فكرة عن تاريخ هذه المؤسسة منذ نشوئها والكيفية التي كانت تعمل بها هيئاتها؟

السيد أبو أديب: الحمد لله والسلام على رسول الله وعلى آله الهداة المهديين ومن تبعهم ووالاهم ولعنة الله على أعدائهم إلى يوم الدين.

أتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان إلى الأخوة الأعزاء في (الكلمة الطيبة) على إتاحتهم فرصة اللقاء والحديث، وإطلاع زائري الموقع على فعاليات مؤسسة سيد الشهداء (عليه السلام) الخيرية في العاصمة الإيرانية طهران.

لابد لنا من إطلالة على تاريخ نشاط وباديات تأسيس هذه المؤسسة التي كان لها قصب السبق في تقديم الخدمات الاجتماعية لمستحقيها في إيران قاطبة. فأول مشروع تأسس قبل انتصار الثورة الإسلامية هو الأمور الخيرية لسيد الشهداء (عليه السلام) أسسه الحاج محمد الغفاري، أبو كمال، في حسينية أهالي كربلاء في طهران، حيث كانوا يتقاضون من المشتركين الكربلايين وغيرهم أسبوعياً مبلغاً زهيداً جداً قيمته تومان واحد ثم ارتفعت قيمة الاشتراك حتى وصلت إلى خمسة توأمين، وكانت هذه الأموال الزهيدة تجمع كحبات المطر لتصبح سيولة نقدية تقدم إلى الأيتام والمعوزين من ذوي الدخل المحدود وعابري السبيل، ولما انتصرت الثورة الإسلامية اختمرت لدى المؤسس فكرة توسعة المشروع لتكون (مؤسسة سيد الشهداء (عليه السلام) الخيرية) والمثبتة رسمياً لدى الدوائر المختصة، وتكون هذه المؤسسة مظلة تخيم على ثلاثة مشاريع رئيسية ومهمة وهي:

١ - مستوصف سيد الشهداء (عليه السلام) الخيري.

٢ - الأمور الخيرية لسيد الشهداء (عليه السلام).

٣ - معهد سيد الشهداء (عليه السلام) للتعاليم الإسلامية.

ففي البدايات صبت جميع الإمكانيات المالية على تأسيس المستوصف الخيري الذي بدأ العمل في مبنى الحسينية القديم بطبيب واحد وممرضة وصيدلية متواضعة وشعبة صغيرة للتحليلات، وكان هؤلاء يتقاضون من

المرضى أجوراً زهيدة جداً لا يمكن بها تسديد رواتب الطبيب والموظفين فكانت تدعم بما يجمع أسبوعياً من أهل الخير والصالح.

وبعد شروع بناء الحسينية، انتقل المستوصف إلى مبنى مؤقت أوسع من المبنى القديم، ووسع نشاطه الصحي فأصبحت لديه صيدلية كبيرة، وطبيبان للأسنان، وأخصائي للعيون، وجراح، وطبيب داخلي، وشعبة أوسع للتحليلات فكانت الخدمات تقدم بأسعار زهيدة جداً وللفقراء مجاناً، وكان المستوصف يقدم بطاقات خاصة للحركات الإسلامية لغرض إعطائها لعوائل الشهداء والمجاهدين ثم أصبحت للمستوصف سيارة إسعاف وفريق طبي اشترك لأكثر من مرة في الذهاب إلى الجبهات مساهمة في إسعاف الجرحى والمصابين، ومن الجدير ذكره أن لهذه المؤسسة الخيرية مجلس إداري مكون من خمسة أشخاص يجتمعون أسبوعياً لمناقشة ما يأتيها من اقتراحات وتكميل النواقص والمستلزمات الطبية.

وفي أثنائها عازمت المؤسسة على شراء قطعة أرض لتأسيس مستوصف خيري عليها، وفعلاً تم ذلك وبمساعدة أهل الخير ودعم المرجعية الرشيدة المتمثلة بالمرجع الديني الأعلى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله)، لأن سماحته كان هو المشير لتأسيس هذا المشروع الخيري، وكان المتولي عليه يحمل وكالة من ثلاثة مراجع كبار في إيران، أحدهم الإمام الشيرازي (دام ظله)، والثاني المرحوم الإمام شريعتمداري، والثالث المرحوم الإمام الخونساري، وبدعم المرجعيات بالحقوق الشرعية وغيرها استمر المستوصف بالنمو والتقدم وتقديم الخدمات الصحية بأسعار لا يتصورها الإنسان بالنسبة لأسعار المستوصفات والمستشفيات، وبعد أن كمل البناء انتقل المستوصف إلى المبنى الجديد ذي الطوابق الثلاثة فأضيف له أغلب التخصصات الطبية، وتوسعت بشكل أكبر أجنحة التصوير الشعاعي وجراحة الأسنان وأنواع التحليلات وتركيب الأسنان والفيزيوترابي والنسائية وغيرها من الأمور الطبية حتى أصبح مستوصف سيد الشهداء (عليه السلام) الخيري من أهم المستوصفات في العاصمة طهران حيث يستقطب يومياً ما لا يقل عن ألفي مراجع، ويشار إليه بالبنان، ورغم كل الصعاب التي مر بها والمشاكسات التي قوبل بها من قبل المناوئين إلا أن إرادة الله ودعم المرجعية وأهل الخير وقفت هذه المؤسسة المباركة بشموخ وتعالى تقدم المزيد من العطاء، حتى أصبحت اليوم مستشفى كبيراً إلى جانب المستوصف، حيث بني على مساحة أرض قدرها ألفي متر بطوابق خمسة التي منها مكان خاص للولادة حيث افتتح مؤخراً وهذا من لطف الله سبحانه وتعالى وإخلاص المؤسسين لهذا المشروع الحيوي الكبير. الكلمة الطيبة: من المعروف أن المشروع - أي مشروع - يبدأ بداية متواضعة ومن ثم يتطور وينمو فهل كان مشروع هذا المستوصف كذلك؟

السيد أبو أديب: فيما يتعلق ببدايات التأسيس، أشرنا أن المستوصف بدأ متواضعاً جداً وبمرور السنين تحول إلى صرح خدمي وبدأت ثماره يانعة توتي أكلها ليلاً ونهاراً لجميع قطاعات المجتمع لا فرق بين الغني والفقير، ولأزال هذا المشروع يلاقي الأمرين من بعض المناوئين والحاquدين لتغيير مسيرة عطائه وتحويله إلى مشروع تجاري، ولكن الله والأئمة الطاهرين بالمرصاد لكل من تسول له نفسه التجاوز على المواقف والمشاريع الخيرية وتحويل مسيرتها المعطاءة، نحو المصالح الشخصية والنفعية.

الكلمة الطيبة: تعتبر طهران من أهم المدن الإيرانية باعتبارها العاصمة وتتوفر فيها الكثير من الخبرات الطبية في المستشفيات الرسمية والخاصة فكيف وجد هذا المستوصف مكانه بين هذه المستشفيات الكبيرة؟

السيد أبو أديب: إن كل عمل يكون خالصاً لوجه الله تعالى ويديره أشخاص يقومون بالتضحية والتفاني ويعملون بصدق وإخلاص لا بد له من النجاح والتقدم، أما عن العقبات والمشاكل فالمسؤولون عن هذا المشروع الخيري قدموا التضحيات الجسام ووقفوا بصدق وإخلاص وحسن نية لرفع المستوى الصحي عن كاهل المحرومين والفقراء لا يفرقون بين المذاهب والقوميات والأديان فالكل عيال الله وعباده وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، وبهداية الإمام المرجع آية الله العظمى الشيرازي (دام ظله) إرشاد المسؤولين نحو الأخلاق الإسلامية الرفيعة ودعمه المتواصل وتوصياته للفقراء كبر هذا المشروع في عيون الآخرين وتعالى يوماً بعد يوم ووقف بكبرياء أما الكثير من المستشفيات التي تبتز الأموال من المتعبين بدون أي رادع إنساني أو تقوى وإلا لو كان غير ذلك لما وصل إليه هذا المشروع نحو الكمال وخدمة الإنسانية.

الكلمة الطيبة: هل يمكن أن تكرر تجربة هذا المستوصف في مدينة أخرى، كأن تكون في منطقة السيدة زينب مثلاً، هل تفكرون في ذلك؟

السيد أبو أديب: نعم يمكن ذلك وتوجد هذه الفكرة وهي قيد التصميم والعمل وتحتاج إلى صبر وتضحية ومؤازرة وصدق وإخلاص ونوايا حسنة، ونأمل بحول الله وقوته ومؤازرة أهل الحل والعقد ودعم المرجعية حفظها الله ومن يسير على خطاها أن ينجز هذا المشروع ليقدم الخدمات الخيرية ويرفع المستوى الصحي عن كاهل الفقراء والمحرومين.

أما بالنسبة للفعاليات الأخرى فحديثها يطول وذو شجون أتمنى أن ألتقي بالأخوة والزائرين لهذا الموقع في مناسبة أخرى بإذن الله لأن لي حديثاً مسهباً عن الكثير من الأنشطة والفعاليات الأخرى التي قمنا بها لخدمة الجماهير المؤمنة والمسلمة على جميع الأصعدة شكراً للجميع وإلى تقدم وازدهار لإعلاء كلمة الله والسير على خطى أهل البيت (عليهم السلام) ونهجهم القويم.

استراحة العدد

من هدي المعصومين

بر رسول الله (صلى الله عليه وآله)

قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتته أخت له من الرضاعة فلما أن نظر إليها، سر بها وبسط رداءه لها فأجلسها عليه، ثم أقبل يحدثها ويضحك في وجهها، ثم قامت فذهبت، ثم جاء أخوها فلم يصنع به ما صنع بها - من الإجلال والتعظيم - ، فقليل يا رسول الله: صنعت بأخته ما لم تصنع به وهو رجل؟! فقال: لأنها كانت أبر بأبيها منه.

البحار ج ١٦ ص ٢٨١

المرأة عند عظماء التاريخ

أوصاني جبرئيل (عليه السلام) بالمرأة حتى ظننت أنه لا ينبغي طلاقها إلا من فاحشة بيّنة.

الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)

المرأة ريحانه لا قهرمانه

أمير المؤمنين (عليه السلام)

المرأة أحلى هدية قدمها الله إلى الإنسان

سقراط

أسوأ الغواني امرأة شريفة عقدت العزم على تقليد سواها

أرسطو

تعرف المرأة الطيبة مما تفعل، والرجل الطيب مما لا يفعل

رولاند

بيت بلا امرأة كجسم بلا روح

فرنسوا الأول

أروع ما قيل من الوصايا

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوصي الناس:

أوصيكم بثلاث: بالذكر، فإن الله تعالى يقول: (اذكروني أذكركم) وأوصيكم بالشكر، فإن الله تعالى يقول: (لئن شكرتم لأزيدنكم) وأوصيكم بالدعاء، فإن الله تعالى يقول: (ادعوني استجب لكم) وأنهاكم عن البغي فإن الله تعالى يقول: (إنما بغيتكم على أنفسكم) وأنهاكم عن النكث، فإن الله جل جلاله يقول: (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه).

الفضائل في شعر العرب

وكل جراحة فلها دواء وسوء الخلق ليس له دواء
وليس بدائم أبداً نعيم كذلك اليأس ليس له بقاء
الإمام علي (عليه السلام)
الأدب والأدباء

كم من أديب فطن عالم مستكمل العقل مقل عديم
ومن جهول مكثر ماله ذلك تقدير العزيز العليم
الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

الثقل والثقل

ومن يك ثقلاً يملك الناس ثقله وإن كان ذا ثقل على الناس واجب

عمر بن ضنة

الحمد والثناء

لا تحمدن امرأ حتى تجربه ولا تذمنه من غير تجريب

أبو الأسود

خزائن الحمد لا تفنى إذا فنيت خزائن المال واختلت مرابعه
فكن حريصاً على كسب الثناء فما يبقى سواه إذا لم يبقى جامع

الشريف العقيلي

الإحسان

وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الإحسان قيلاً تقيدا

الأخ والإخاء

يمضي أخوك فلا تلقى له خلفاً والمال بعد ذهاب المال مكتسبٌ

ولا تقطع أخاً لك عند ذنبٍ فإن الذنب يغفره الكريمُ
ولا تعجل على أحد بظلم فإن الظلم مرتعه وخيمُ
وخير الوصل ما دامت منه وشر الوصل وصل لا يدوم

قصة مثل

إياك أعني واسمعي يا جارة

يحكى أن هذا المثل هو لسيار بن مالك الفزاري، قاله لأخت حارثة بن لأم الطائي، حينما نظر إليها فهوهاها واستحيا أن يخبرها بذلك، فجعل يصف أخرى بقوله:

كانت لنا من غطفان جارة حلاللة طعانة سيارة
مدفعُ ميناء إلى قراره إياك أعني فاسمعي يا جاره
فذهب هذا القول مثلاً شائعاً.

أرقام

- * ثاني أكبر دولة منفتحة اقتصادياً في العالم ٩٠ مليار دولار الناتج المحلي في سنغافورة.
- * اليابان تصدر صكوكاً للمديونية قيمتها ٨٠١ مليار دولار.
- * ٨٠ مليار دولار حجم الرشاوى في العام الماضي.
- * الفرنسيون يلتهمون ١,٧ ساندويتش يومياً.
- * ٦,٥ مليار دولار فقط لا غير عائدات مايكروسوفت عام ٢٠٠٠.
- * ٥٥٠ مليار وثيقة على شبكة الإنترنت
- * أربعة مليارات دولار عوائد منح تراخيص الموبايل في أربع دول عربية.
- * سبعة ملايين عربي يستخدمون الموبايل.

علوم وإنترنت

ملابس تكنولوجية

ستشهد أسواق أوروبا في القريب العاجل ظهور أول نوع من الملابس الإلكترونية المتطورة مصممة

خصيصاً للبيع للجمهور وستكون هذه الملابس مجهزة بشبكات كومبيوتر مدمجة بالكامل، وهي وليدة مشروع تجاري مشترك من تطوير شركة ليفايز الأمريكية الضخمة للملبوسات وشركة فيليبس الهولندية للصناعات الإلكترونية.

موقع يقدم جائزة دولية في الغباء

يمكن الحصول على جائزة التميز الدولية في الغباء لأغبي تصرف خلال الاشتراك في موقع www.Darwinawards.com وتمنح جائزة التميز للغباء سنوياً لأغبي تصرف أو سلوك يقوم به شخص. ويقول القائمون على الموقع أن المشترك سوف يواجه منافسة عديدة مع متسابقين من أنحاء العالم، كل منهم يسعى للفوز بهذه الجائزة الثمينة.

كمبيوتر جديد يقوم بـ ١٠٠ ألف مليار عملية في الثانية

أعلنت وزارة الطاقة الأميركية الشروع في إنتاج كمبيوتر عملاق يخصص للأبحاث البيولوجية والطبية بالتعاون مع ثلاث شركات للمعلوماتية والأبحاث والتحليل. وستتولى شركة كومباك تصنيع الكمبيوتر فيما تتولى الشركتان الأخريان تطوير برامج البحوث والتحليل البيولوجية. ويهدف المشروع إلى إنتاج وسيلة بحث تتمتع بقوة تعادل الكمبيوترات التي تستخدم في أبحاث الفيزياء والتي تستغل في مجال تصنيع الأسلحة بصورة خاصة. وأوضحت وزارة الطاقة الأميركية أن ١ لكمبيوتر العملاق سيكون جاهزاً للعمل في عام ٢٠٠٤ وأنه سيكون قادراً على القيام بـ ١٠٠ ألف مليار عملية في الثانية أي أقوى بثمانى مرات من أسرع الكمبيوترات العاملة حالياً.

رواية إلكترونية

تبدأ الممثلة وعارضة الأزياء والكاتبة الهندية تارا ديشباندنا كتابة رواية إلكترونية وصفها الناشر بأنها أول كتاب من نوعه عبر الإنترنت يدعو إلى مساهمات من القراء. ويشارك القراء في الصياغة بكتابة فصول بديلة ونيل جوائز عن تخمينهم لنهاية رواية (الحافز) التي تمتزج فيها الجريمة بالسياسة. ومن المقرر نشر أول فصول الرواية على شبكة الإنترنت اعتباراً من هذا الشهر.

وقالت تارا لوكالة (رويترز) أنها ستنتقي من بين المساهمات الفصل الثاني والرابع والسادس للرواية التي ستُنشر على الإنترنت. ولكن المشاركين لن يتقاسموا حقوق النشر بل سوف يفوزون برحلات في جنوب شرق آسيا. ويستطيع القراء نيل الجوائز بتكهن الخاتمة بينما تقترب الأحداث من نهايتها على الإنترنت.

الكمبيوتر يحلل خريطة الجينات

وقعت وزارة الطاقة الأميركية وشركة سيليرا كورب اتفاقاً تتعاون في إطاره تكنولوجيا الكمبيوتر مع علم

الأحياء بهدف دراسة خريطة الجينات البشرية دراسة تفصيلية سعياً وراء معلومات من شأنها تغيير مسار الطب المعاصر.

وبمقتضى الاتفاق يتعاون الجانبان لتصميم برامج كمبيوتر ذات إمكانات كبيرة وإنتاج كمبيوتر عملاق قادر على تحليل تسلسل الطاقم الجيني وتحديد أماكن الجينات ووظائفها. كما أن القيمة المالية لتنفيذ هذا الاتفاق غير واضحة لأنه اتفاق للتطوير ومن المتوقع أن يكلف عشرات الملايين من الدولارات. ووضع تسلسل لخريطة الطاقم الجيني أعلن عنه في النصف الثاني من العام الماضي لكن التسلسل لا يعطي سوى شفرة لخريطة الجينات البشرية. ويجب الآن فك هذه الشفرة.

شركات إنترنت أغلقت في العام ٢٠٠٠

أظهرت دراسة أجرتها شركة ويبمر جرز. كوم في سان فرانسيسكو أن ما لا يقل عن ٢١٠ من شركات الإنترنت أغلقت أبوابها في العام ٢٠٠٠ مبددة بذلك استثمارات تصل إلى نحو ١,٥ بليون دولار، مشيرة إلى أن ٦٠% من هذه الإغلاقات جاءت في الربع الأخير من العام. وأوضحت الدراسة أن نحو ١٠٩ شركات من الشركات المنهارة تعمل في مجال التجارة الإلكترونية، و ٣٠ شركة تقدم مواقع على الإنترنت والعدد المتبقي هو من شركات البنية الأساسية وخدمات أخرى.

الرجال أكثر استعمالاً للإنترنت من النساء

أظهر مسح أجري على شبكة الإنترنت مؤخراً أن الرجال يقضون وقتاً أطول في استخدام الشبكة من النساء مشيراً إلى أن الرجال الذين أجري عليهم المسح يقضون في المتوسط ٢٢ ساعة شهرياً عن طريق مكاتبهم في العمل فيما تقضي النساء وقتاً أقصر بمتوسط شهري يبلغ ١٨ ساعة شهرياً. وأوضح المسح الذي أجرته شركة (تلسون نيتريتندج) في الولايات المتحدة أن معظم المستخدمين للشبكة عبر المنازل هم من النساء، وعلى الرغم من ذلك لا يزال الرجال يتفوقون عليهن في عدد الساعات التي يقضونها في استخدام الشبكة مؤكدة أن النساء يقضين عبر المنازل في المتوسط ٨ ساعات فيما يقضي الرجال ١٠ ساعات من منازلهم.

أخبار الطب والعلوم

فيتامين (سي) يكافح التدخين

أكد مركز مكافحة التدخين بمستشفى البير شوفونيه بفرنسا أن فيتامين (سي) يقلل الرغبة في التدخين خاصة إذا تم تناوله مرتين في اليوم. وتجدر الإشارة إلى أن السيجارة الواحدة تقضي تماماً على مفعول وفائدة فيتامين (سي) الممتص ومن ثم تتزايد حاجة الإنسان إلى تعويض نسبة هذا الفيتامين بالجسم.

فوائد جديدة للسلمون والتونة

أعلنت الجمعية الطبية الأميركية أن الأشخاص الذين يتناولون الأسماك المطهية خمس مرات أو أكثر خلال الأسبوع الواحد تقل نسبة إصابتهم بالسكتة الدماغية بالمقارنة بالأشخاص الذين يتناولونها مرة واحدة في الشهر.

وأوضحت الدراسة أن تناول الأسماك خاصة التونة والسلمون، يؤدي إلى الحد من الإصابة بالسكتة الدماغية والأمراض القلبية.

وحذرت الجمعية الطبية الأميركية المرأة الحامل من تناول أنواع معينة من الأسماك والتي قد تؤثر على الجنين.

(الكلمنتينا) تعالج الإرهاق

أكدت مجلة (فام اكتيويل) الفرنسية الأسبوعية أن فاكهة الكلمنتينا وهي ثمار مهجنة من البرتقال المالح واليوسفي تحتوي على كمية كبيرة من فيتامين سي تتراوح من بين ٤٠ إلى ١٠٠ ملليجرام. وأثبتت الدراسة أن هذه الفاكهة تعيد شحن الجسم بالأملاح المعدنية التي يفقدها مثل (البوتاسيوم والكالسيوم والمغنيسيوم والحديد) والتي تساعد على عدم الشعور بالإرهاق.

الجوال يسبب سرطان العين

أشارت دراسة علمية جديدة إلى علاقة بين استخدام الهاتف الجوال وتزايد احتمالات الإصابة بمرض سرطان العين.

وأوضحت دراسة نشرتها مجلة طبية بريطانية وأجراها فريق علمي في جامعة آسين الألمانية أن معدلات الإصابة بمرض سرطان العين تضاعفت ثلاث مرات بين مستخدمي الهاتف الجوال بانتظام.

الفواكه والخضروات ليست مصدراً لفيتامين (أ)

كشفت دراسة نشرها معهد طب الأكاديميات الوطنية الأميركي أن الفواكه والخضراوات ذات القشرة الداكنة أو الغنية بالكاروتين تحتوي على نسبة من فيتامين (أ) أقل مما يعتقد الآن بأربع مرات.

وأظهرت الدراسة أن الفواكه والخضراوات المعنية ومنها الجزر والبطاطا الحلوة وقرنبيط الشتاء (البروكولي) تحتوي على ثلاثة عناصر شبيهة بالكاروتين وهي صبغيات تتحول في الجسم إلى مادة ريتينول أو فيتامين (أ). وأظهرت الأبحاث أيضاً أن الكمية الضرورية للعناصر الشبيهة بالكاروتين للحصول على وحدة ريتينول تزيد مرتين عما كان يعتقد في أواخر الثمانينات.

ويعتبر فيتامين (أ) مهماً للنظر ولتطور الجنين أو الوظائف المتعلقة بنظام المناعة، والافتقار إليه يمكن أن يؤدي إلى فقدان البصر.